من بلاغة الحديث الشريف

الدكتور: عبد الفتاح لاشين
أستاذ مشارك
بجامعة الإمام محمد بن سعود

شركة مكاوي للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة لشركة مكتبات عكاظ
للنشر والتوزيع

جدة : ت ٦٦٧١٥٩٢
الرياض : ت ٤٠٤٠٨١٤
الدمام : ت ٣٢٩٩٠
المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المحتوى

مقدمة ·
الحديث والتدوين ·
الحديث مروى باللفظ أم بالمعنى ؟
الحديث النبوى والقدسى ·
البيان ضرورة للدعوة والداعية ·
بلاغة الرسول ·
تفرد الرسول بعلم كل لغات القرآن ·
حكمته فى مواجهة المخاطبين ·
السنة بيان للقرآن الكريم ·

تحليل الأحاديث الآتية :

١ ـ مثل ما بعثنى الله من الهدى والعلم ··
٢ ـ الحلال بين والحرام بين ··
٣ ـ مثلى ومثل ما بعثنى الله به ··
٤ ـ جلست إحدى عشرة أمراة ، فتعاهدن ··
٥ ـ أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل ··
٦ ـ إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم ··
٧ ـ أية ساعة هذه ؟··
٩ ـ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله ··
١٠ ـ جعل النبى على الرَّجَّالة يوم أحد ··
١١ ـ بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن ··
١٢ ـ إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها ··

١٣ ـ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ..

١٤ ـ لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة ..

١٥ ـ لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل ..

١٦ ـ مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كالأترجة ..

١٧ ـ خلق الله الخلق ، فلما فرغ قامت الرحم ..

١٨ ـ إنما مثلى ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا ..

١٩ ـ إنما الناس كالإبل المائة ..

٢٠ ـ ألاَرجل يضيف هذا ـ يرحمه الله ـ ..

٢١ ـ إن أمتى يدعون يوم القيامة غر محجلين ..

٢٢ ـ بنى الإسلام على خمس ..

٢٣ ـ مثلى ومثل الأنبياء ، كمثل رجل بنى دارا ..

٢٤ ـ غفار غفر الله لها ..

٢٥ ـ لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين ..

٢٦ ـ قالت عائشة : يا رسول الله ، نزلت واديا ..

٢٧ ـ إنما مثل صاحب القرآن ..

٢٨ ـ لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها ..

٢٩ ـ إياكم والدخول على النساء ..

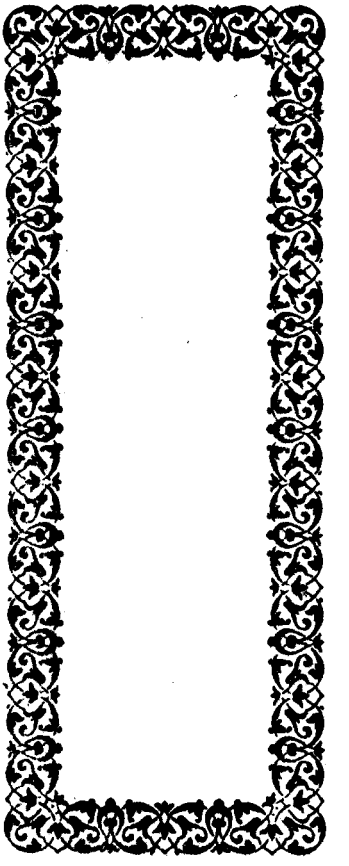

مقدمة

أرسل الله سبحانه نبيه محمدا ﷺ من خير العرب نسبا ، وأكرمهم حسبا ، وأعلاهم بيتا ، وكانت قبيلته بنو هاشم إحدى قبائل قريش ، وقريش أفصح القبائل العربية ، وأعذبها منطقا ، وأصفاها لفظا ·

وقد تهيأ للغة قريش قبل الإسلام من عوامل الصفاء والنقاء ، وأسباب الفصاحة والبلاغة ما جعلها جديرة بأن ينزل بها كتاب « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » ·

فقد كان العرب يفدون إلى مكة للحج ، ويقصدون الأسواق القريبة منها للتجارة ، والمنافرة ، والمفاخرة ، ولعرض ما تجود به قرائح الشعراء منهم من شعر ، وكان القرشيون يمرون بالقبائل العربية قاصدين اليمن فى رحلة الشتاء ، أو عائدين من الشام فى رحلة الصيف ، فتهيأ لهم من هذه المخالطة المستمرة خبرة لاختيار أحسن الألفاظ ، وأفصح التراكيب ، وأبرع الأساليب ·

ولم يكد يقترب ميلاد الرسول ﷺ حتى كانت لغة قريش هى اللغة السائدة فى الجزيرة العربية ، وأسيرها على

الألسنة ، وأعظمها فصاحة وبلاغة ·

ومن هذه القبائل النازلة ببطحاء مكة ، ومن بين هؤلاء الرجال الذين عرفوا باللسَن والفصاحة نشأ محمد بن عبدالله ، وارتضع أفاويق الفصاحة والبلاغة من أفصح القبائل قبيلة بنى سعد بن بكر ، وشب وترعرع على لغة فصيحة ، وزاده الله إلهاما وحكمة ، وعلمه من فضله مالم يكن يعلم ، وكان فضل الله عليه عظيما ، وما فارق الدنيا حتى تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك ·

وفى هذا البحث سنعرض لبعض من بلاغته النبوية فى منطقة الشريف ، وندرس بعضا من الأحاديث الشريفة دراسة تحليلية ، تبرز من خلالها بيان الرسول ـ عليه السلام ـ وتوضح جوامع كلمه ·

والله أسأل أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه ، وأن يهدينا سواء السبيل ·

الدكتور / عبدالفتاح لاشين

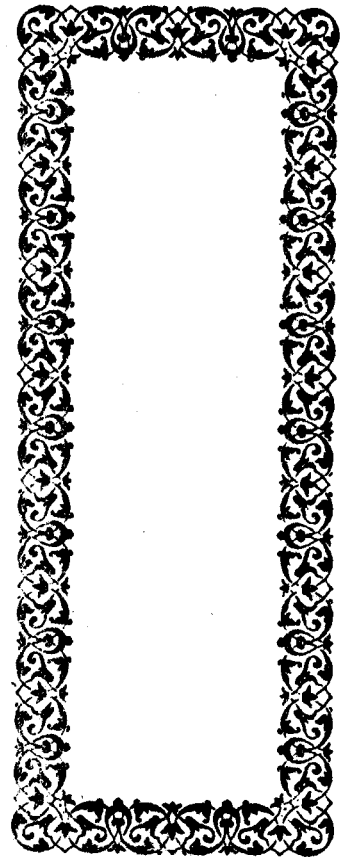

الحديث والتدوين

مع أنه عرف عن العرب أنهم أمة أمية ، فقد دلت الدراسات على أن العرب كانوا يعرفون الكتابة ، وقد اشتهر من كتاب الجاهلية « عدى بن زيد العبادى » (٣٥ قبل الهجرة) ، وكان أول عربى يدخل إيوان كسرى ويكتب فيه بالعربية .

وكانت الكتاتيب موجودة فى الجاهلية ، ويشرف عليها معلمون لهم مكانة سامية ، وجاء الإسلام وفى الأوس والخزرج عدة يكتبون .[1]

واشتهر بالكتابة من أهل مكة : عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وزيد بن أبى سفيان ، وأخوه معاوية .

ومن أهل المدينة : سعد بن عبادة ، والمنذر بن عمرو ، وزيد بن ثابت .

ومع ذلك فلا نحسن الظن بالعرب فندعى انتشار الكتابة حتى تصل إلى مرتبة العموم والشمول .

---

(١) مصادر الشعر الجاهلى ١٢٤ ، السنة قبل التدوين ٢١٥

ولما جاء الإسلام حث على التعليم حتى إن الرسول ﷺ جعل فداء الأسرى فى غزوة بدر ممن كانوا يعرفون القراءة والكتابة أن يعلم الواحد منهم عشرة من أبناء المسلمين[٢] .

ومادامت الكتابة كانت موجودة ولها متخصصون فليس هناك ما يمنع من تدوين السنة الشريفة ، إلا أنه قد صحت أحاديث تأذن فى التدوين ، وأخرى يفهم من ظاهرها المنع .

وقد جمع السيوطى بينهما بأن النهى كان خاصا بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره ، وكان الإذن فى غير ذلك ، أو النهى متقدم والأذن ناسخ .[٣]

وعلى هذا فالرسول ـ عليه السلام ـ لم يفارق الدنيا إلا وكتابة الحديث مأذون فيها ، وقد ترك عدد من الصحابة والتابعين صحفا ، أهمها :

١ ـ صحيفة عبدالله بن عمرو ، وسماها « الصحيفة الصادقة » ، وقد أقره الرسول ـ عليه السلام ـ عليها وعددها ألف حديث .[٤]

٢ ـ صحيفة أبوهريرة لهمام بن منبه وسماها « الصحيفة الصحيحة » .[٥]

٣ ـ وصحيفة جابر بن عبدالله الأنصارى[٦].

٤ ـ وما كتبه عبدالله بن عباس[٧].

---

(٢) دراسات تاريخية فى رجال الحديث ٨

(٣) الإتقان فى علوم القرآن جـ ١/١٨٥

(٤) السنة ومكانتها فى التشريع ٧٦ ، السنة قبل التدوين ٣٤٨

(٥) مصادر الشعر الجاهلى ١٤٦ ، الحديث والمحدثون ١٢٥

(٦) السنة قبل التدوين ٢١٥

(٧) مصادر الشعر الجاهلى ١٤٤

وبهذا نصل أن سنة الرسول ﷺ قد دونت فى عهده ، إلا أنه كان تدوينا ذاتيا وفرديا ومجهودا شخصيا ٠

ثم تبنت الدولة التدوين رسميا فى عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز ، فقد كتب إلى قاضيه بالمدينة « أبى بكر بن حزم » : « انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فإنى خفت دروس العلم ، وذهاب العلماء » ولقد أنفذ ابن حزم ما عنده ، ولكنه لم يدون كل مافى المدينة من سُنّة ، والذى نقل ذلك هو الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى (ت ١٢٤ هـ)[١]

وشاع التدوين فى الجيل الذى ولى الزهرى ، وكان أول من جمعه بمكة : عبدالله بن جريح (ت ١٥٠ هـ) ، وابن إسحاق (ت ١٥١ هـ) ، وبالمدينة : الإمام مالك (ت ١٧٩ هـ) ، وبالبصرة : حماد بن سلمة (ت ١٧٦ هـ) ، وبالكوفة : سفيان الثورى (ت ١٦١ هـ) ، وبالشام : أبوعمر الأوزاعى (ت ١٥٦ هـ) ٠

وفى القرن الثالث وهب أصحاب الكتب الصحاح أنفسهم لهذا العمل الجليل ، فكان البخارى (ت ٢٥٦ هـ) ، ومسلم (ت ٢٦١ هـ) ، وأبوداود (ت٢٧٥ هـ) ، وابن ماجة (ت ٢٧٥ هـ) ، والترمذى (ت ٢٧٩ هـ) ، والنسائى (ت ٣٠٣ هـ) ٠[٢]

ثم انصرفت العناية بعد ذلك إلى تصحيح هذه الكتب والنظر فى أسانيدها ٠

---

(١) تاريخ آداب العرب جـ ٢٨٠/١

(٢) المصدر نفسه ٢٨٨

وبذلك نرى أن « أحاديث الرسول ﷺ قد نهض علماء المسلمين إلى حياطتها ، وذود الدخيل عنها ، ونقدوها كما ينقد الصيارفة الصحاح والزيوف ، والحق أن الوضاعين والمتساهلين روجوا على رسول الله ﷺ مالم يقله ، ولكن الحق أيضا أن أحدا من العظماء لم تغربل آثاره بموازين أدق مما صنع علماء المسلمين مع نبيهم ، ولو رفضنا السنة بعد هذا الفحص العلمى الدقيق لوجب أن نرفض التاريخ الأدبى والسياسى لساسة الدنيا وقادتها وشعرائها وفلاسفتها »[٣]

الحديث مروى باللفظ أم بالمعنى ؟

هذه قضية كثر الكلام فيها ، فمن العلماء من أجاز الرواية بالمعنى بشروط خاصة ، ومنهم من منع ، ورأوا ضرورة إعادة الحديث بلفظه ، فهما رأيان يسيران فى خطين متوازيين ولا يلتقيان .

وبالنظر إلى السنة المطهرة ، نجد أن الأحاديث القصيرة والمتوسطة لابد أنها قد نقلت إلينا بألفاظها ، فنقلها وحفظها على صورتها تلك لم تكن بالصعوبة على الناقلين والحفاظ ـ وهم أمة حافظة لاقطة .

أما الأحاديث الطويلة كقصص السابقين ـ مثلا ـ فربما دخل فيها تغيير الكلمة ، أو الكلمات ، مع التحرز البالغ من التغيير المخل بالمعنى الأصلى ، فمَنْ الذى يقرأ قول الرسول ﷺ : « نَضَّر الله امرأ سمع منى حديثا فأداه كما سمعه » ويتجاهل اللفظ إلى معناه ؟ .

الحديث النبوى والقدسى

الحديث النبوى : لفظه لفظ الرسول ، ومعناه من عند الله ، ولذلك نسب الرسول

(٣) نظرات فى القرآن ١٥

الفصاحة إليه ، فقال « أنا أفصح العرب غير أنى من قريش ، ونشأت فى بنى سعد بن بكر »[1] ، وتعليله عليه السلام أسباب تقويم اللسان إلى أعلى درجة عرفها العرب ، يدل على أن لفظ الحديث من لدنه ، وأما قوله عليه السلام : « أتيت جوامع الكلم »[2] فيحمل على ما أتاه الله من حسان المعانى وكبارها تجتمع له تحت لفظه .[3]

أما الحديث القدسى : فلفظه ومعناه من عند الله .

ولم يكن للحديث كتاب يفرض عليهم الكتابة ، بل ترك أمر الكتابة بين الإباحة والخطر ـ كما سبق بيانه .

أما القرآن الكريم : فلفظه ومعناه من عند الله ، إلا أن القرآن معجز بلفظه ، وحصل به التحدى ، وكان للقرآن كتأبا يكتبونه ويرتبونه بتوفيق من الله تعالى ، ونقل إلينا بالتواتر حفظاً وكتابة ، والحديث القدسى ليس كذلك .

---

(١) تيسير الوصول جـ ٤/٢٠٦

(٢) المصدر نفسه جـ ٤/١٣٢

(٣) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ٢٢

البيان ضرورة للدعوة والداعية

عرض الدعوة والقضايا الإيمانية ، وتوضيح التشريعات الربانية ، والقوانين السماوية،هذه التكاليف المتعددة مهمة شاقة ، تتطلب بيانا واضحا ، وعرضا بينا ، لهذا لابد أن يكون الداعية فى غاية البيان ، ومثلا عاليا فى الفصاحة ، وأن يكون له امتياز على كل الفصحاء الأبيناء حتى يظهر فضله عليهم ، ويعرف مكانه بينهم ٠

فالبيان هو الوسيلة الناجحة للإقناع ، وإلزام المدعوين الحجة ، وحملهم على أن يصدقوا الرسول فيما جاء به ، وأن يخجلوا من تكذيبه ، بعد أن تقوم عليهم الحجة ، ويردهم البرهان بالفصاحة والبيان ٠

وقد امتن الله تعالى على نبيه محمد ﷺ بأنه أنزل عليه الكتاب والحكمة ، وعلمه مالم يكن يعلم ، فقال تعالى : « وأَنْزَلَ اللَّهُ عليك الكتابَ والحِكْمَةَ وعَلَّمكَ مَالم تكُنْ تَعلم ، وكانَ فضلُ الله عليك عَظِيماً » (النساء ١٣) ٠

كما نبهه إلى ضرورة أن يبلغ الغاية فى البيان فى عرض الدعوة ، فقال : « فَأَعْرِضْ عنهم ، وعِظْهُم ، وقلْ لهم فى أنْفُسِهم قولاً بَلِيغًا » (النساء ٦٣) ٠

وقد أخبر القرآن الكريم أن الغاية التى تأتى كل الغايات بعدها هى (البيان والتبيين) ، قال تعالى : « وما أنْزَلْنا عليك الكتابَ إلاَّ لتُبَيِّنَ لهم الذى اخْتَلَفُوا فيه ، وهُدًى ورحمة لقوم يؤمنون » (النحل ٦٤) ٠

ولما للبيان والتبيين من أثر فى الدعوة والداعية ، طلب موسى ـ عليه السلام ـ من الله تعالى أن يرسل معه أخاه (هارون) وزيرا ، لأن (هارون) أفصح منه لسانا ، وأقوى بيانا ، فقال تعالى حكاية عن موسى ـ عليه السلام ـ : « وأَخِى هارون هُو أفصحُ منِّى لِسَانًا ، فأرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصدقنِى ، إنِّى أخافُ أنْ يُكَذِّبُون » (القصص ٣٤) ٠

كما يروى القرآن الكريم أن موسى ـ عليه السلام ـ خاف أن يضيق صدره ، ولاينطلق لسانه ، حين يكذبه قومه ، فقال تعالى حكاية عنه : « قال : رَبِّ إنِّى أخافُ أنْ يكذِّبُون ، ويَضِيق صدْرِى ولايَنْطلِقُ لسانى ، فأرْسِلْ إلى هَارُون » (الشعراء ١٢ ، ١٣) ٠

ولمكان البيان كان من أعظم ما عاب به فرعون نَبِيَّ الله موسى ، أنه ليس مبينا ، فقد توجه إلى قومه يبين لهم أن موسى لايصلح أن يكون رسولا ـ ولعل فرعون كان على درجة عالية من البيان ـ فقال تعالى على لسان فرعون لقومه : « أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ الذى هُو مَهِينٌ ولايكادُ يُبِين » (الزخرف ٥٢) ٠

لهذا دعا ربه أن يمنحه البيان ، وأن يزيل من لسانه كل مايحول بينه وبين فصاحة الداعى ، حتى يفقه قومه قوله ، فقال تعالى على لسان موسى : « قال : رَبِّ اشرحْ لِى صَدْرِى ، ويَسِّرْ لِى أمْرِى ، واحْلُلْ عُقْدَةً من لِسانى يفْقَهُوا قَوْلِى » (طه ٢٥ ـ ٢٧) ٠

والعقدة التى كانت فى لسان موسى ـ عليه السلام ـ كانت لاتمكنه من التبين الواضح ٠ والتفهيم الكامل ، يدل على ذلك أنه علل دعاءه برغبته فى الوصول بقومه إلى غاية سامية وهى (الفقه) ، و (الفقه) درجة أعلى من الفهم ، فالفقه يحتاج إلى كمال البيان ، وتمام الوضوح ، حتى يقرب لهم البعيد ، ويجلو لهم الغامض ، فقد كان فى لسان موسى ـ عليه السلام ـ القدرة على أن يفهمهم ، لكن ليس عنده القدرة على أن يجعلهم (يفقهون) ٠

ولهذا استجاب الله دعاءه فقال سبحانه : « قد أُوتيتَ سُؤْلك ياموسى » (طه ٣٦) ٠

فإذا كان هذا الحال مع موسى ـ عليه السلام ـ مع أن التاريخ لم يحدثنا أن الذين أرسل إليهم كانوا يتباهون بالبيان ، ويتفاخرون بالبلاغة ـ كما كان العرب ـ فلأن يكون محمد ﷺ أبين قومه ، وأفصحهم أحرى وأولى ٠

بلاغة الرسول

أرسل الله سبحانه نبيه ـ عليه السلام ـ من خير العرب قبيلة ، ومن أوسطهم نسبا ، وأكرمهم بيتا ، وتلقى الفصاحة فى السنوات الأولى من عمره فى قبيلة بنى سعد ، قضى فى ربوعها خمس سنوات بعد ولادته مباشرة ٠

و (بنو سعد) إحدى القبائل التى كانت وسط الجزيرة العربية ، حيث كانت فى مأمن من الاختلاط بالشعوب التى كانت تسكن فى أطراف الجزيرة ، وقضى الرسول حياته الأولى بينهم ، فتربى على الفصاحة ، وشب عليها ، وظهرت آثار هذه التربية وتلك النشأة فى حياته ٠

يروى أن أبابكر ـ رضى الله عنه ـ قال للنبى ﷺ لقد طفت فى العرب ، وسمعت فصحاءهم ، فما سمعت الذى هو أفصح منك ، فمن أدَّبكَ ؟ ، فقال ـ عليه السلام ـ « أدبنى ربى فأحسن تأديبى »[١]

وفى معنى هذا ماروى عن على ـ رضى الله عنه ـ رواه عنه العسكرى ، فقال :

قدم بنو نهد بن زيد على النبى ﷺ فقالوا : أتيناك من غور تهامة ، ـ وذكر خطبتهم ، وما أجابهم به رسول الله ، ثم قال : (أى على) : يانبى الله ، نحن بنو أب واحد ، ونشأنا فى بلد واحد ، وإنك تكلم العرب بلسان لانفهم أكثره ، فقال : أدبنى ربى ، ونشأت فى بنى سعد بن بكر » .[٢]

وقد روت عائشة ـ رضى الله عنها ـ فى صفة منطق الرسول ، قالت :

« ما كان رسول الله يسرد كسردكم هذا ، ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه »[٣]

وفى حديث آخر لها ، قالت : « كان رسول الله ﷺ يُحدِّث حديثاً لوعَدَّهُ العَادُّ لأَحْصَاه » .

وقد بلغ من فصاحته ، وقدرته على البيان أنه وضع كثيرا من المفردات وضعا جديدا ، من ذلك : كلمة (صِير) فى قوله ﷺ « مَنْ نَظَر مِنْ صِيرِ بابٍ فقد دَمَر »[٤]

قال أبوعبيدة ـ من علماء اللغة ـ والمؤلفين فى غريب الحديث ـ لم يسمع هذا الحرف إلا فى هذا الحديث .

وقد يكون للكلمة معنى معروف سابق ، لكن النبى ـ عليه السلام ـ ينقلها إلى معنى جديد ، وقد تكون مستعملة فى إحدى القبائل بهذا المعنى ، لكن أصحابه لم يكونوا يعرفونها ، فعندما ينطق بها الرسول تصبح الكلمة مستعملة .

من ذلك : كلمة (الإمَّعة) ، روى حديفة بن اليمان ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : « لايكن أحدُكم إمَّعَة ، قالوا : وما الإمَّعَة ؟ ، قال : الذى يقول : أنا مع الناس ، إن

---

(١) الجامع الكبير للسيوطى،وقد ذكر أن ابن الجوزى وهنه ، لكن أبا الفضل بن ناصر صححه .

(٢) النهاية لابن الأثير فى خطبة كتابه ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٣٢٦ .

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٣٢٩ .

(٤) الصير : الشق من الباب ، دمر : دخل بدون إذن .

أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » ٠

وروى الزمخشرى فى كتابه (الفائق) عن ابن مسعود : « كنا نعد (الإمعة) فى الجاهلية الذى يتبع الناس إلى الطعام من غير أن يدعى ٠

وعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ ما تعدون الصُّرَعة فيكم ؟ ، قالوا : الذى لاتصرعه الرجال ، قال : لا ، ولكنه الذى لايملك نفسه عند الغضب » ٠

كذلك أثر عنه أنه سبق إلى وضع تراكيب جديدة ، منها : قوله عليه السلام ـ « مات حتف أنفه »[٢] ، حتى إن عليا ـ رضى الله عنه ـ قال عندما سمعها ، ما سمعتها من عربى قبله ٠

ويقول الشريف الرضى[٣] فى تفسير هذا : « إن الميت على فراشه من غير أن يعجله القتل إنما ينفس شيئا فشيئا حتى تفيض روحه ، فخص النبى (الأنف) بذلك ، لأنه جهة لخروج النفس ، وحلول الموت ، ولايكاد يقال ذلك فى سائر الميتات ، حتى تكون الميتة ذات مهلة ، وتكون النفس غير معجلة » ٠

ويقول الرافعى[٤] فى تفسير هذا التعبير : « إن موت الرجل على فراشه من غير حرب ولا قتال ، ولا أمر يؤرخ به الموت فى الألسنة،مما كانوا يأنفون له ، والحتف : هو الهلاك ، فكأن صاحب هذه الميتة إنما ماتت أنفته وكبرياؤه ، فلم يرفع الموت أنفه فى القوم ، بل أذله وأرغمه ، فكان به هلاكه ، لأن حياته كانت فى عزته ، وعزته كانت فى أنفه ، وأنفه هو الذى كبه الموت ، وإنما مجاز العبارة ، كما يقال فى الكبر : ورم أنفه ، وفى العزة : حمى أنفه » ٠

ومن ذلك أيضا ، قوله عليه السلام : « الآن حمى الوطيس » ، و (الوطيس) حفرة تحفر فتوقد فيها النار للاشتواء ، ، فهى استعارة لحرارة القتال ٠

---

(٢) مات حتف أنفه : يعنى على فراشه من غير قتل ولا ضرب ولا غرق ولا حرق ، وخص الأنف ، لأنه أراد أن روحه تخرج من أنفه بتتابع نفسه ، أو لأنهم كانوا يتخيلون أن المريض تخرج روحه من أنفه والجريح من جراحته (قاموس مادة حتف) ٠

(٣) المجازات النبوية

(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٣٤٧ ٠

وكذلك قوله عليه السلام : « هُدْنَةٌ على دَخَن » فى السلم الظاهرى الذى يضمر تحته الحرب الشعواء ، فقد شبه الهدنة التى تؤذن بالحرب بالدخان الذى يؤدى إلى النار ٠

ومثله قوله عليه السلام : « إياكم وَخَضْراءُ الدِّمَن[1] ، قالوا : وما خضراءُ الدِّمَن يارسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء ، ففى الحديث تشبيه المرأة الحسناء فى المنبت بالنبات الشديد الخضرة النابت فى مبارك الإبل ـ على طريقة التمثيل ـ فالنبى ـ عليه السلام ـ نهى عن نكاح المرأة لمجرد الإعجاب بجمالها الظاهر ، دون بحث عن نشأتها ، والسؤال عن مخبرها ٠

تفرد الرسول بعلم كل لغات القرآن

نزل القرآن الكريم بلغة قريش ، وهذا هو المشهور عند العلماء ، لكن بعض الباحثين يرى أن أكثره نزل بلغة قريش ، والقليل منه نزل بلغة القبائل العربية الأخرى ، بدليل أن من القريشيين من كان يجهل معانى بعض كلمات القرآن ، حيث إنها لم تسمع فى لغتهم ٠

فقد روى أن أبا بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ لم يعرفا معنى كلمة (الأب) فى قوله تعالى : « فَلْيَنْظر الإنسانُ إلى طعامه أنَّا صبَبْنَا الماءَ صَبًّا ، ثم شقَقْنَا الأرض شَقًّا ، فأنبتنا فيها حَبًّا وعنَباً ، وقضْبًا وزيتونًا ونَخْلا ، وحَدائِق غُلْباً ، وفاكِهَةً وأبًّا »[2] ٠ (عبس ٢٤ ـ ٣١) ٠

فقد سئل أبوبكر عن (الأب) فلما فكر ولم يعرفه ، أمسك عن تفسيره ، وقال : أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى ، إذا قلت فى كتاب الله ٠٠ إذا قلت مالا علم لى به ؟

ولما قرأ عمر ـ رضى الله عنه ـ هذه الآية ، قال : كل هذا قد عرفناه ، فما الأب ؟ ، ثم قال : هذا لعمرى التكلف ، وما عليك يابن أم عمر ألا تدرى ماالأب ؟ ٠

ويروى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال : « ما كنت أدرى ما (فَاطِرِ السمواتِ والأرضِ) (ابراهيم ١٠) حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر ، فقال أحدهما ، أنا فطرتها ، يعنى : ابتدأت حفرها ٠

---

(١) الدمن : جمع دمنة ، وهى : الأبعار المجتمعة فى مبارك الإبل والغنم ٠

(٢) القضب : كل شجرة طالت ونسقت أغصانها ، الغُلْب : الشجر الكثير الملتف بعضه على بعض ، الأب : المرعى ٠

وقد ذكر الزمخشرى[1] عند تفسير قوله تعالى : « إِنَّه ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُور » (الانشقاق ١٤)، أن ابن عباس قال : ما كنت أدرى معنى (يحور) حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها : حورى ، أى ارجعى ·

فمما لاريب فيه أنه ـ عليه السلام ـ كان على معرفة تامة بكل اللغات التى ورد بعض ألفاظها فى القرآن ، حيث أنه مُبيِّن لما فى القرآن ، وموضِّح لما انبهم منه ، ولايمكنه ذلك حتى يفقه مدلولات هذه الألفاظ ·

فالنبى ـ عليه السلام ـ انفرد عن قومه ، بل عن بقية العرب بمعرفة كل هذه الألفاظ القرآنية باللغات واللهجات المختلفة ، فقد كان يتلقى ذلك عن طريق الإلهام من الله تعالى مصداقا لقوله تعالى : « وعَلَّمك مالم تَكُنْ تَعْلَم ، وكان فضْلُ اللهِ عليك عَظِيمًا » (النساء ١٣) ·

ومما يدل على ذلك مارواه عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال[2] : « كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله ﷺ فنهتنى قريش ، وقالوا : تكتب كل شىء ، ورسول الله بشر ، يتكلم فى الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك له ﷺ فأومأ بأصبعه إلى وقال : « اكتب ، فوالذى نفسى بيده ما يخرج منه إلا حق » ·

والمعروف أن النبى ـ عليه السلام ـ لم يعرف الرحلة أو التنقل بين قبائل العرب حتى يتعلم منها اللغات ، ولو كان الأمر أمر تنقل فى القبائل لكان أبوبكر على علم بها ، فقد ذكر الرواة أنه كان على علم بالأنساب ، حتى إن حسان بن ثابت لما هجا قريشا ، وتناول الخفى من أنساب بعض رجالها ، ظن القرشيون أن الشعر لأبى بكر ، فقالوا : لقد قال ابن قحافة الشعر بعدنا ، ولكان عمر بن الخطّاب كذلك ، حيث كان فى جاهليته سفيرا لقريش لدى القبائل العربية ·

فمع ما كان لهما من صلات بين القبائل لم يعرفا معنى (الأب) فى الآية الكريمة ـ كما سبق ـ

---

(١) الكشاف ج ١٩٨/٤ ، المعنى : أن الكافر ظن أن لن يرجع إلى الله تعالى ·

(٢) هذا الحديث رواه الحاكم ·

حكمته فى مواجهة المخاطبين

كان الرسول ـ عليه السلام ـ حريصا على أن يخاطب كل قوم ، بل كل فرد ، على قدر حاله ، وأن تكون ألفاظه ملائمة لمعانيه وأغراضه ، حتى يبلغ كلامه مكانه من قلوب السامعين وأن يصل التأثير شغاف القلوب ، فيُقْبَل مايُراد قبوله ، ويُتْرك مايُراد تركه ٠

فربما أغرب فى اللفظ ـ وإن كان ذلك قليلا ـ لأن مخاطبه آثر الغريب ، فقد سأله رجل بقوله : أيُدَالِك الرجل امرأته يارسول الله ؟ ، فأجابه ، إذا كان مُفْرَحا ٠[1]

وقد يستعمل الكلمة اللاذعة ، تحمل الإنكار الشديد ، والتوبيخ الأليم ، مع الأدب الجم فى الخطاب ، واللطف الجميل فى القول ٠

جاءه رجل من ولاته وبيده هدايا أهديت إليه ، وقد رآها أنها من حقه ، لكن الرسول ـ عليه السلام ـ بين الحكم فى هذا بأسلوب موجع ، وإشارة مؤلمة ، فقال : « أما بعد ، فإنى استعمل الرجل منكم على العمل ، فيأتى فيقول : هذا لكم ، وهذا أهدى إلىّ ، أفلا جلس فى بيت أبيه ، أو بيت أمه ، حتى تأتيه هديته إن كان صادقا ؟ » ٠

فلم يوجه الرسول الخطاب إليه على طريقة التخصيص بل يسوقه مساق العموم ، فلم يقل له ـ مثلا ـ مالى استعملتُك ، فجئت ، فقلت ، بل قال : مالى أستعمل الرجل منكم ، فيقول ٠٠ ، وهكذا كانت طريقته ـ عليه السلام ـ حين ينكر على أحد من أصحابه شيئا ٠

وأخرج البخارى ومسلم عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن ناسا من أصحاب النبى ﷺ سألوا أزواج النبى عن عمله فى السر ، فقال بعضهم : لا آكل اللحم ، وقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم : لا أنام على فراشى ، فبلغ ذلك النبى ، فقال : ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا ؟ ، لكنى أصوم وأفطر ، وأنام وأقوم ، وآكل اللحم ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » ٠

فالرسول ـ عليه السلام ـ يريد الإنكار على أشخاص معينين ، لكنه يسوق الخطاب مساق العموم ، ويقول : ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ٠

---

(١) يدالك : يماطل ، المفرح ـ بصيغة المفعول ، الذى أثقله الدين ٠

وروى أحمد والشيخان فى صحيحهما عن ابن عمر ، أن النبى ﷺ سمع عمر وهو يحلف بأبيه ، فقال : « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » .

فالنبى ـ عليه السلام ـ لم يوجه الخطاب إلى عمر وحده ، وإنما قال : « إن الله ينهاكم » خطابا للجميع على طريقة العموم دون التخصيص والتعيين :

وقد يصارح الرسول ـ عليه السلام ـ الرجل من أصحابه حين لايكون فى ذلك مايؤلم النفس ، أو يجرح الشعور .

أخرج البخارى ومسلم وأبو داوود والنسائى عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، أنه قال : قال لى رسول الله : ألم أخبر أنك تصوم النهار ، وتقوم الليل ؟ ، قلت : بلى يارسول الله،قال : فلا تفعل ، صم وأفطر ، وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقا ، وإن لعينك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا ، وإن لزَوْرك عليك حقا .

فالرسول . عليه السلام ـ يؤكد ويكرر ، ويذكر بجانب كل واحد من هذه الأربعة كلمة (الحق) ، وقد جاء ذكر هذه الحقوق تعليلا للتوسط فى الأمور وبين الصيام والإفطار ، والقيام والنوم ، وهى حقوق ثابتة أمر بها الإسلام ، فلم يأمره النبى أمرا مجردا ، وإنما علل له ، وذلك يكون أدعى للقبول ، وأجدر بالاستجابة[1]

وقد كان ـ عليه السلام ـ يكنِّى عن المعنى الذى يستقبح ذكره بلفظه الصريح ، أو يستحيا من لفظه ، يكنى عنه بلفظ لاحرج فيه على من يقوله أو يسمعه ، وتكون الكناية حينئذ فى غاية الإفصاح ، وعلى قدر عظيم من البلاغة .

السنة بيان للقرآن الكريم

القرآن الكريم ملىء بالتشريعات المجملة ، والأحكام غير المفصلة ، فيه عقائد المسلمين فى الألوهية والبعث ، وفيه تهذيب أخلاقهم ، وتقويم سلوكهم ، وكل أمورهم فى دنياهم وأخراهم ، ومن ذلك مايكون فى إجمال يحتاج إلى تفصيل ، وإيجاز يحتاج إلى توضيح وتفسير ، وهذا هو الغرض السامى للحديث الشريف ، والسنة المطهرة ، قال تعالى : « وأنْزَلْنا إليك الذِّكرَ لتُبَيِّن للناس ما نُزِّلَ إليهم ولعلَّهُم يتفكَّرون » (النحل ٤٤) .

---

(١) انظر فى ذلك البلاغة النبوية ص١٣ وما بعدها

فالحديث تفصيل لما أنزل مجملا فى القرآن الكريم ، وتوضيح لما أبهم فيه ، وبيان لما تشابه منه ، كذلك الأحكام التى وردت فى السنة المطهرة ولم يرد لها ذكر فى القرآن هى أحكام شرعية صحيحة ثابتة ، يجب العمل بها ، كما يجب العمل بما جاء فى القرآن ، إذ السنة هى المصدر الثانى للتشريع ٠

ويحاول بعض المضللين أن يشكك فى بعض الأحكام الشرعية بسبب أنه لم يرد فى القرآن الكريم ، وقد جادل بعض الجهلة قديما ، وهو شاعر سكر فسيق إلى القاضى ، ليقيم عليه الحد ، فلما مثل بين يدى القاضى ، أنشد أبياتا ، منها :

قــرأت كتــاب الله تســعين مرة فلــم أر فيه للشــراب حدودا

وهذا جهل واضح ، ومغالطة صريحة ، فلو أخذنا بكلام هذا الشاعر ، لطرحنـا كثيرا من أحكام ديننا ، فعدد الصلوات لم يرد لها ذكر فى القرآن ، وبعض أحكام الصوم ليس مذكورا فى القرآن ، كذلك أعمال الحج ، وخلاف ذلك من العبادات والمعاملات ، وقد قال الرسول ـ عليه السلام ـ : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » ، وقال : « خذوا عنى مناسككم » ٠

وهذه دعوى تحمل بين طياتها دليل بطلانها ، إذ أن الحديث الشريف هو فى المقام الثانى فى التشريع الإسلامى ، وذلك بنص القرآن الكريم ، يقول تعالى : « ومَـا آتـاكم الرسولُ فَخُذُوه وما نَهاكم عنه فانْتَهُوا » (الحشر ٧) ويقول سبحانه « من يُطِع الرسول فقد أطاعَ الله » (النساء ٨٠) ٠

****

وسنأخذ فى دراسة بعض الأحاديث الشريفة دراسة تحليلية وتطبيقية ، تبرز من خلالها بيان الرسول ـ عليه السلام ـ وجوامع كلمه من وجهة النظر البلاغية ، وإليك البيان ٠

١

عن أبى موسى الأشعرى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :[١]

« مثلُ ما بَعثنى اللهُ به من الهُدَى والعِلم ، كمثِل الغَيْث الكثيرِ أصابَ أرضًا فكان منها نَقِيَّةٌ قَبِلتْ الماء ، فأنبتَتْ الكلأَ والعُشبَ الكثيرَ ، وكانت منها أجادبُ أمسكت الماءَ ، فنفعَ الله بها الناسَ ، فشربوا ، وسقَوْا ، وزرعُوا ، وأصابت منها طائفةٌ أخرى ، إنما هى قِيعانٌ لا تُمسكُ ماءً ، ولا تنبت كلأً ، فذلك مثلُ من فَقُه فى دينِ الله ، ونفعَهُ ما بعثَنى اللهُ به فعَلِم وعَلَّم ، ومثل من لم يرْفعْ بذلك رأسًا ولم يقبلْ هُدَى اللهِ الذى أرُسلتُ به »[٢] .

اللغة :

أبوموسى الأشعرى : صحابى جليل هاجر من اليمن إلى مكة ، ثم هاجر منها إلى الحبشة ، ثم هاجر من الحبشة إلى المدينة ، قدم إلى البصرة وعلّم بها ، « سأل عمر بن الخطاب أنس بن مالك ، كيف تركت الأشعرى ؟ ، قال : تركته يعلم الناس القرآن ، قال : إنه لكبير ، ولا تُسْمِعُها إياه »[٣] .

---

(١) عمدة القارىء ح ٢/٧٦

(٢) اكتفينا من السند براوى الحديث فى أوله ، وهو الصحابى الذى سمعه من النبى ﷺ ونحيل طالب المزيد على المراجع والأمهات .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٤/٨٠ ، فجر الإسلام ج ١/٢٢٧ .

المثل : الصفة العجيبة الشأن ، وليس المراد القول السائر ٠

نقية : طيبة طاهرة ، وهى صفة لموصوف محذوف ، أى أرض نقية ٠

الكلأ : بالهمز النبات اليابس أو الرطب ، أما العشب ، و ـ الخلا ـ مقصورا ، مختصان بالرطب فقط ٠

أجادب : بالجيم والدال المهملة : جمع جدب على غير قياس ، وهى الأرض الصلبة التى لا ينضب منها الماء ، وضدها : الخصبة ٠

القيعان : بكسر القاف جمع قاع ، وهى الأرض المستوية ، أوهى التى لا نبات فيها ٠

من لم يرفع بذلك رأسا : يعنى تكبر ، والمراد : لم يلتفت إليه من غاية تكبره ٠

البلاغة :

ضرب المثل من الأساليب البلاغية التى تشوق السامع إلى الخبر وتمكنه فى نفسه ، وفى الحديث عدة تمثيلات :

تشبيه ما جاء به النبى ﷺ من الدين القيم بالغيث العميم الذى يأتى الناس فى حال حاجتهم إليه ، وفى هذا تجسيم للدين فى صورة الغيث المغيث الذى تقام له الأعياد عند أهل البادية ، وهى صورة يعرف قيمتها العربى المتلقى لهذا الحديث ، فاذا كان الغيث يحيى البلد الميت فالعلم كذلك يحيى القلب الميت ٠

ثم يشير الحديث إلى أن المتلقين لهذه الدعوة ثلاثة أنواع ، ومثلهم فى مدى تقبلهم لها مثل ثلاثة أنواع من الأرض ، والتشبيهات على هذا الترتيب :

١ ـ النوع الأول من الناس : يبلغه الهدى والعلم فيحفظه ، ويعمل به ويُعَلِّمه غيره ، فينتفع وينفع ٠

والنوع الأول من الأرض : ينتفع بالمطر ، فتزدهر وتخضر بعد أن كانت ميتة وجرداء ، وتنبت الكلأ والعشب الذى ينتفع به الناس والدواب ٠

فهذا النوع من الناس يشبه هذا النوع من الأرض ، وهذا المثال للنافع المنتفع من العلماء ٠

والنوع الثانى من الناس : يبلغه الهدى والعلم ، ولهم قلوب حافظة ، لكن ليست لهم أذهان صافية ، ولا رسوخ لهم فى العلم ، وليس عندهم اجتهاد فى العمل به ، فهم يحفظونه حتى يجىء أهل الانتفاع ، فتأخذه منهم فتنتفع به ، فهؤلاء نفعوا بما بلغهم ٠

والنوع الثانى من الأرض : مالا تقبل الانتفاع فى نفسها ، لكن فيها خاصية إمساك الماء وحفظه لغيرها ، فينتفع به الناس والدواب ٠

فهذا النوع من الناس يشبه هذا النوع من الأرض ، وهذا المثال للنافع غير المنتفع ، وهم نقلة العلم ٠

والنوع الثالث من الناس : يبلغه الهدى والعلم ، لكن ليست لهم قلوب حافظة ، ولا أذهان صافية ، ولا أفهام واعية ، فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به ، ولا يحفظونه لنفع غيرهم ٠

والنوع الثالث من الأرض : هى الأرض السبخة التى لا تنتفع بالماء فلا تنبت ، ولا تمسكه لينتفع به غيرها ٠

وهذا النوع الثالث من الناس يشبه هذا النوع من الأرض ، وهذا المثال لمن لا علم له ولا نقل ٠

والتشبيهات الثلاثه تلك من قبيل تشبيه المحسوس بصورة حسية أخرى وهى أوفى بالغرض ، وتملأ النفس روعة وإعجابا ٠

* * *

وظاهر الحديث يوحى بأن الناس قسمان : من ينتفع به ، ومن لا ينتفع ، لكن تثليث القسمة ـ كما سبق ـ يأتى على هذا الوجه :

وذلك بأن يقدر قبل لفظة (نفعه) كلمة (من) بقرينة عطفه على (من فقه) ، كما فى قول حسان بن ثابت ـ رضى الله عنه :

أمَنْ يهجُو رسول الله منكم ويمدحُه وينصرُه سواءُ

إذ تقديره : ومَنْ يمدحه ، وحينئذ يكون ـ الفقيه ـ بمنزلة العالم باللفظ مثلا ، فى مقابلة ـ الأجادب ـ ، والنافع فى مقابلة ـ النقية ـ على طريقة اللف والنشر غير المرتب ، ومن لم يرفع به رأسا فى مقابلة ـ القيعان ـ

وحذف لفظ (مَنْ) إشعار بأنهما فى حكم شىء واحد فى كونهما ذا انتفاع فى الجملة كما جعل ـ للنقية والأجادب ـ حكما واحدا ، ولهذا لم يعطف بلفظ ـ أصاب ـ فى الأجادب ٠

وكرر لفظ « مثل » فى « من لم يرفع » لأنه نوع آخر مقابل لما تقدم ٠

ويحتمل أن يكون الحديث كله من قبيل التشبيه التمثيلى الواحد ، فتشبه صفة العلم الواصل إلى أنواع الناس من جهة النفع وعدمه ، بصفة المطر المصيب أنـواع الأرض من جهة النفع وعدمه ٠

والمثل الأخير فى الحديث (فذلك مثل من فقه ـ إلخ) هو تشبيه آخر ذكر كالنتيجة للأول،ولبيان المقصود منه ٠

* * *

وفى الحديث أيضا :

١ ـ عطف الخاص على العام فى قوله : « فأنبتت الكلأ والعشب »،والتخصيص بالذكر للاهتمام به وشرفه ٠

٢ ـ حذف المفاعيل فى قوله : « فشربوا وسقَوْا وزرعوا » لأنها معلومة ولكونها فضلة فى الكلام والتقدير : فشربوا من الماء وسقوا دوابهم وزرعوا ما يصلح للزرع ، فالحذف للإيجاز ، والبلاغة الايجاز ٠

٣ ـ الكناية فى قوله : « ومن لم يرفع بذلك رأسا » فالجملة كناية عن صفة التكبر ٠

****

٢

عن النعمان بن بَشِير قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :[١]

« الحلال بيِّنٌ والحرامُ بينٌ وبينهما مُشَبَّهاتٌ ، لا يعلمها كثيرٌ من الناس ، فمن اتَّقَى الشُّبهات استَبْرأ لدينه وعِرضه ، ومن وَقَع فى الشبُّهُاتِ كراعٍ يُرعى حَوْل الحِمَى يُوشِكُ أنْ يُواقِعَهُ ، ألاَ وإنّ لِكل مَلِكٍ حِمًى ، ألاَ إنَّ حِمَى الله فى أرضه محارمُه ، ألاَ وإنَّ فى الجسد مضغةً إذا صلحت صلَحَ الجسدُ كلهُ ، وإذا فَسدتْ فسد الجسدُ كلهُ ألاَ وهى القَلْب » .

اللغة :

النعمان بين بَشِير ـ بفتح الباء وكسر الشين ـ هو أنصارى خزرجى ، أمه عمرة بنت رواحة أخت عبدالله بن رواحة ، ولد بعد أربعة عشر شهرا من الهجرة وهو أول مولود يولد للأنصار بعد الهجرة ، وقيل : ولد هو وعبدالله بن الزبير فى العام الثانى للهجرة ، وكان عاملا على حمص من قبل ابن الزبير ، ولما تمرد عليه أهل حمص خرج هاربا فاتبعه واحد فقتله سنة ٦٥ هـ .

الحلال : ضد الحرام ، وهو من باب (ضرب) ، وأما حل بالمكان فهو من باب

---

(١) عمدة القارى ج ٢٩٥/١

(نصر) ، ومن الأول : (حل المحرم) ، ومن الثانى (حللت العقدة) ، (حل العذاب) ٠

بين : ظاهر ، نظرا إلى ما دل على الحل بلا شبهة ، أو على الحرام بلا شبهة ٠

مشبهات : الوسائط التى يجتذبها دليلان من الطرفين بحيث يقع الاشتباه بغير ترجيح دليل أحد الطرفين ، ومنه قوله تعالى : « إنَّ البَقَرَ تَشَابَه علينا »[1] ٠ والأشياء ثلاثة أقسام :

حلال واضح لا يخفى حله : كالخبز والفواكه والمشى مثلا ، وحرام بين : كالخمر والميتة والزنا والكذب مثلا ، أما المشبهات : فهى ليست بواضحة الحل والحرمة ، ولهذا لا يعرفها كثير من الناس ، وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو غيره ، ومثلوا لها ٠ بمن كان فى ماله شبهة ، أو خالطه ربا ، فهذا يكره معاملته ، وترك استعمال ماء فى فلاة ، لجواز عروض النجاسة فيه ٠

اتقى : حذر واحترز وابتعد ٠

استبرأ : حصل البراءة لدينه من الذم الشرعى ، وصان عرضه من كلام الناس ٠

العرض : الأمور التى يرتفع بها الإنسان أو يسقط بذكرها ومن جهتها يحمد ويذم ، ويقال : عرض الرجل : نفسه ، وقيل : جانبه الذى يصونه ٠

« ومن وقع فى الشبهات كراعى ٠٠ » من شرطية وجواب الشرط محذوف تقديره : وقع فى الحرام ، وقد ثبت ذلك فى رواية أخرى للحديث ، ويمكن أن تكون (من) اسم موصول فلا يكون فيه حذف ، ويكون التقدير : والذى وقع فى الشبهات مثل راع يرعى ٠٠ والأول أولى ويكون قوله « كراعى يرعى » جملة مستأنفة وردت على سبيل التمثيل للتنبيه بالشاهد على الغائب ٠

الحمى : موضع منعه الإمام لنفسه ومنع الغير منه ، وقد أطلق المصدر ـ وقيل اسم المصدر ـ وأريد منه اسم المفعول « المحمى » ٠

يوشك : يقرب ٠ « أن يواقعه » يقع فيه ٠

محارمه : معاصيه التى حرمها كالقتل والسرقة ، وهو جمع محرم وهو الحرام ، ومنه يقال : هو ذو محرم منها إذا لم يحل له نكاحها ، ومحارم الليل : مخاوفه التى يحرم على الجبان أن يسلكها ٠

---

(١) البقرة ، آية ٧٠

ألا : حرف استفتاح ، وهو لتوكيد مضمون الجملة،وهو مركب من همزة الإنكار وحرف النفى ، والإنكار نفى ، ونفى النفى إثبات ، فركب الحرفان لإفادة التحقيق والتوكيد فصارا بمنزلة إنّ ، ويدخل على الجملتين نحو قوله تعالى : « ألاَ إنهَّم هُمُ السُّفهاء »[1] « ألاَ يَوْم يأتيهم لَيْس مَصْرُوفاً عنهم »[2] . وقد تكون حرف تنبيه ، اذا كان الغرض من الكلام تنبيه المخاطب لئلا يفوت المقصود بغفلة عنه .

مضغة : قدر ما يمضغ ، وعبر بها عن مقدار القلب فى الرؤية ، وخص القلب بذلك : لأنه أمير البدن ، وبصلاح الأمير تصلح الرعية .

وكلمة « إذا » هنا بمعنى « إن » لأن مدخولها لابد أن يتحقق ، وهنا الصلاح غير متحقق لاحتمال الفساد .

البلاغة :

أراد الرسول ﷺ أن يحذر المسلمين من الوقوع فى الشبهات ، فأورد هذا التمثيل للتنبيه بالشاهد على الغائب .

فلله تعالى حمى ـ وهى المعاصى ـ من ارتكب شيئا منها استحق العقوبة ، ومن قاربه بالدخول فى الشبهات والتعرض للمقدمات اقترب أن يقع فيها .

وهذه الحال المعنوية والصفة الذهنية ، مثّلها لهم رسول الله ﷺ بما هو معروف عندهم ، شائع بينهم ، فقد كان ملوك العرب يحمون لمراعى مواشيهم أماكن مختصة ، ويتوعدون من يرعى فيها بغير إذنهم بالعقوبة الشديدة ، فالخائف من العقوبة المراقب لرضا الملك يبعد عن ذلك الحمى خشية أن تقع مواشيه فى شىء منه ، فبعده أسلم له ولو اشتد حذره ، وغير الخائف المراقب يقرب منه ، ويرعى من جوانبه ، فلا يأمن أن تنفرد الواحدة فتقع فيه بغير اختياره ، أو بمحل المكان الذى هو فيه ، ويقع الخصب فى الحمى ، فلا يملك نفسه أن يقع فيه .

ووجه الشبه : حصول العقاب بعدم الاحتراز فى ذلك ، فكما أن الراعى إذا جره رعيه حول الحمى إلى الوقوع فى الحمى استحق العقاب بسبب ذلك ، فكذلك من أكثر من الشبهات وتعرض لمقدماتها ، وقع فى الحرام فاستحق العقاب .

وقوله عليه السلام : « ألا وإن لكل ملك حمى » مثل « استعارة تمثيلية » ضربه النبى

---

(١) البقرة ، آية ١٣ . (٢) هود ، آية ٨ .

ـ عليه السلام ـ وذلك أن ملوك العرب كانت تحمى المراعى لمواشيها ، وتتوعد من يقربها ، والخائف من عقوبة السلطان يبعد بماشيته خوف الوقوع ، وغير الخائف يقرب منها ويرعى فى جوانبها فلا يأمن أن يقع فيها من غير اختيار فيعاقب على ذلك ٠

ولله تعالى أيضا حمى ـ وهى المعاصى ـ فمن ارتكب شيئا منها استحق العقوبة ، ومن قاربه بالدخول فى الشبهات يوشك أن يقع فيها ، فتنوسيت هذه الصورة واستعيرت لها الصورة الأولى ٠

وإطلاق « المضغة » على « القلب » من قبيل الاستعارة الأصلية ٠

ووجود لفظ « ألاَ » وتكراره دليل على عظم شأن مدلولها وعظم موقعه ، وبيان ذلك : أن « ألاَ » لتوكيد مضمون الجملة بعدها ، وقد انضم إلى لفظ « ألا » التأكيد « بإنّ » وتقديم الجار والمجرور زيادة فى الاهتمام « لكل ملك » ، وتضخيم المسند إليه بتنكيره « حمى » ثم أتت الأداة نفسها الدالة على الاهتمام المثير للانتباه « ألا إن » وإضافة (الحمى) إلى لفظ الجلالة « حمى الله » إشعار بهيبته وارتفاع شأنه ، ومرة ثالثة تعود « ألا وإن » لضرب من التشويق ومضاعفة الانتباه لتدخل على ما يتوقف عليه صلاح الجسد أو فساده عليه ـ وهى المضغة ـ وفى تنكيرها ما يشير إلى تقليلها تعجبا من أمرها ٠

إن هذا التصعيد فى التوكيد والتنبيه يجعلنا نتحسس مواقع أقدامنا فننآى عن الشبهات ، فالحلال حيث يخشى أن يئول فعله مطلقا إلى مكروه أو محرم ، ينبغى اجتنابه ٠

وفى قوله عليه السلام : « ألا وإن لكل ملك ٠٠ ألا إن حمى الله ٠٠ ألا وإن فى الجسد ٠٠ » علام عطف الواو وما بعدها ؟ ولم ذكرت الواو بعد حرف « ألا » الأول والثالث ولم يذكر بعد الثانى ؟

عطفت الواو على مقدَّر يعلم مما تقدم ، والتقدير : ألا إن الأمر كما تقدم وإن لكل ملك حمى ، فجاء بالواو إشعارا بأن بين الجملتين مناسبة ، إذ هو بالحقيقة تشبيه للحرام بالحمى ، وللمشتبه بما حول الحمى ، فلابد فيه من مشاركة بينهما ٠

وترك الواو فى الثانى إشعار بكمال الانقطاع بين الجملتين ، وبالبون البعيد بين حمى الملوك وحمى الله تعالى الذى هو الملك الحق ، لا ملك حقيقة إلا له تعالى ، أو إشعارا بكمال الاتحاد ، إذ لما كان لكل ملك حمى كان لله حمى لأنه الملك الحقيقى ، فذكره مع ذكر فائدة فيه ، وهى أن حمى الله محارمه ٠

وبين الثالثة والأولى مناسبة ، لأن الأصل فى الاتقاء والوقوع ما كان بالقلب فهو عماد الأمر وملاكه ، أو تكون المناسبة الضدية ، فكما أن حفظ الأصل يحفظ الفرع ، كذلك حفظ الفرع يحفظ الأصل ، أى لابد من رعاية الأصل والفرع حتى تتم البراءة الكاملة بتعاضدهما .

وفى قوله : « كراع يرعى » حذف مفعول « يرعى » اختصارا ، والتقدير : يرعى مواشيه .

****

٣

عن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ أنه قال :[١]

« إنّ مَثَلى ومَثَلَ ما بعثنى الله به،كمثلِ رجلٍ أتى قومه ، فقال : ياقومِ إنّى رأيتُ الجيش بعْيَنىّ ، وإنّى أنا النذيرُ العُريانُ ، فَالنجاءَ،فأطاعه طائفةٌ من قومه فأدْلجُوا فانطلقوا على مُهْلَتهم ، وكذبتْ طائفة منهم فأصبحوا مكانهَم ، فصبحَّهم الجيشُ فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثلُ منْ أطاعنى واتَّبع ما جئتُ به ، ومَثَلُ من عصانى وكذَّب ما جئتُ به من الحق » ٠

اللغة :

أبوموسى الأشعرى : مضى التعريف به فى الحديث رقم (١) ٠

المثل : (الصفة العجيبة الشأن ، وليس المراد (القول السائر) ، وضرب المثل من الأساليب البلاغية التى تشوق السامع إلى الخبر ، وتمكنه فى نفسه ٠

النذير العريان : أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة ، نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيدا منهم ليخبرهم بما دهمهم ، وأكثر ما يفعل هذا رب القوم ، وهو طليعتهم ، وإنما يفعل ذلك لأنه أبين للناظر وأغرب وأشنع منظرا ، فهو أبلغ فى استحثاثهم

---

(١) صحيح مسلم شرح النووى ج ١٥/٤٨ ٠

فى التأهب للعدو ، وقيل معناه : أنا النذير الذى أدركنى جيش العدو فأخذ ثيابى ، فأنا أنذركم عريانا ٠

النجاء : منصوب على الإغراء ، أى اطلبوا النجاء وأسرعوا فى الهرب ، فأنتم لا تطيقون مقاومة ذلك الجيش ٠

فأدلجوا : بإسكان الدال ومعناه ساروا من أول الليل ، والاسم : الدَّلجة (بفتح الدال) ، فإذا كان الخروج من آخر الليل قلت : ادَّلجت (بتشديد الدال) والاسم الدُّلجة (بضم الدال) ومنهم من يجيز الوجهين فى كل منهما ٠

على مهلتهم : على التأنى والإمهال ٠

صبحهم الجيش : أتوهم صباحا ، هذا أصله ، ثم استعمل فيمن يطرق بغتة ٠

اجتاحهم : استأصلهم ٠

البلاغة :

إنى رأيت الجيش بعينى : هذه الجملة تحمل عدة تأكيدات ندركها نحن بالدراسة ، وقد فهمها العرب بالفطرة وهى :

« إن » ، ثم تكرار الإسناد فى « إنى رأيت » فالرؤية حاصلة من النذير ، وهى أيضا خبر عنه ، ثم كلمة « العين » مضافة إلى ضمير الرائى المتكلم ، لينقطع كل تجوز أو احتمال ٠ وإنى أنا النذير العريان : وهذه الجملة قد صاحبها عدة تأكيدات لتدخل على المخاطبين الطمأنينة إلى صدق القول ، وجدية الدعوة ، وهى :

بدء التركيب بـ « إن » ثم تكرار الإسناد فى « النذير » فقد أسند مرتين ، إحداهما كونه خبرا عن ضمير الفصل ، ثم كون جملة « أنا النذير » خبرا عن اسم « إن » المسند إليه ، ثم وجود ضمير الفصل بين الطرفين وهو من طرق القصر ، والقصر يأتى لتأكيد المعانى ودفع الشك ٠

ثم زيادة فى حرص الرسول ﷺ على التبليغ ، أعقب الصورة القولية « إنى رأيت الجيش بعينى » بصورة مرئية ٠ « وإنى أنا النذير العريان »[1] ٠

إنى أنا النذير العريان : « استعارة تمثيلية » شبه الرسول ـ عليه السلام ـ حاله وهو ينذر قومه ، ويعلمهم بما شرع الله ، وما يترتب على المخالفة من الإثم والعقاب ، بصورة عرفها

---

(١) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ١٧٩ ٠

العرب ، وهى صورة رجل كان ربيئة قومه وعينا لهم، فأراد إنذار قومه وإعلامهم بهجوم العدو عليهم ، فنزع ثوبه وأشار به إليهم ليستحثهم للتأهب للعدو، ويسهل على الرائى أن يعرف الشرفى عريه،ثم استعيرت هيئة المشبه به للمشبه ٠

ثم شبه من أطاعه ، واتبع هداه ، وعملوا بشريعته ، فكان لهم حسن المثوبة وعظيم الأجر ، بقوم أطاعوا طليعتهم ، وصدقوه بما أخبرهم به من مداهمة العدو لهم ، وهزهم نذيره ، فسارعوا إلى الهرب ، ولاذوا بالفرار ، يسترهم الليل بظلامه ، ويعينهم على السرى بهدوء جوه، وغفلة أعين الناس فيه « تشبيه تمثيلى » ٠

كما شبه من عصاه وكذبه ، فكان لهم العقاب المر والجزاء الأليم ، بقوم استهانوا بهذا النذير ، واستخفوا بما قال ، فتهاونوا حتى جاء الصباح وهم فى مكانهم ، ولم يتحركوا نجاة من العدو ، ففتك بهم واستأصلهم ٠٠ « تشبيه تمثيلى » ٠

****

٤

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت :[١]

جلست إحْدى عشْرَة امـرأة ، فتعاهـدْنَ ، وتعاقـدْن ، أن لا يكتمْنَ من أخبار أزواجهن شيئا :

قالت الأولى : زوجى لحم جَمَلٍ غثٌ على رأس جبلٍ ، لا سهلٍ فيرُتقَى ، ولا سمينٍ فيُنتَقَل ٠

قالت الثانية : زوجى لا أبُثُّ خبـرَه ، إنـى أخـاف أنْ لا أذَره ، إنْ أذكرْه أذكرْ عجُرَهَ وبُجَره ٠

قالت الثالثة : زوجى العشَنَّقُ إنْ أنطـقْ أُطَلَّـق ، وإن أسكت أُعلّق ٠

قالت الرابعة : زوجـى كلَيْلِ تهامـةَ ، لا حَرٌّ ولا قُرٌّ ، ولا مخافةَ ولا سآمةَ ٠

قالت الخامسة : زوجى إن دَخل فَهِد ، وإن خَرج أسِد ، ولا يسأل عماً عَهد ٠

قالـت السادســة : زوجــى إن أكَل لَفّ ، وإن شرِبَ اشْتَفّ ، وإن اضطجع الْتَفّ ٠

قالت السابعة : زوجى غَيَاياءُ ، أو عَيَاياءُ ، طبَاقَاءُ ، كُلُّ داءٍ له داءُ ، شجكِ أو فلَّكِ ، أو جمع كلاً لكِ ٠

---

(١) عمدة القارى ج ١٦٨/٢٠

قالت الثامنة : زوجى المسُّ مسُّ ارْنب ، والريح ريح زَرْنَب ·

قالت التاسعة : زوجى رفيع العماد ، طويل النجاد ، عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد ·

قالت العاشرة : زوجى مالكُ . وما مالكُ ؟ ، مالكُ خيرٌ من ذلك ، له إبلٌ كثيراتُ المَبارك ، قليلاتُ المسارح ، وإذا سمعن صوْتَ المِزْهَرِ أيقَنَّ أنهنّ هَوالكُ ·

قالت الحادية عشرةَ : زوجى أبوزرع ، فما أبوزرعٍ ؟ أناسَ من حُلِيٍّ أُذُنَىّ ، وملأ من شحمْ عضُدَىّ ، وجدَنى فى أهل غُنَيْمةٍ بشقٍّ فجعلنى فى أهل صهيل ، وأطِيطٍ ، ودائسٍ ، ومُنَقٍّ ، فعنده أقول فلا أقبّح ، وأرقد فأتصبحَّ ، وأشرب فأتقمّح ·

أم أبى زرع : فما أم أبى زرع ؟ عُكُومُها رَدَاح ، وبيتها فَسَاح ·

ابن أبى زرع : مَضجَعُه كَمَسَلِّ شَطْبةٍ ، ويُشْبِعه ذراعُ الجَفْرة ·

بنت أبى زرع : فما بنت أبى زرع ؟ طوْعُ أبيها ، وطوع أمِّها ، وملءُ كِسائها ، وغيظُ جارتها ·

جارية أبى زرع : فما جارية أبى زرع ، لا تَبُثّ حديثنا تبثيثا ، ولا تُنَقِّثُ ميرتنا تنقيثا ، ولا تملأ بيتنا تعشيشا ·

قالت : خرج أبوزرع والأوطابُ تُمخَضُ ، فلقى امرأة معها ولدان لها كالفَهْدين ، يلعبان من تحت خَصرها بِرُمّانتين ، فطلقنى ونكحها ، فنكحت بعده رجلا سَرِيًّا ، ركب شَرِيًّا ، وأخذ خَطِّيا ، وأراح علىّ نَعَما ثَرِيّا ، وأعطانى من كل رائحةٍ زوجا ، وقال : كُلِى أمَّ زرع ، وميرى أهلَكِ ·

قالت : فلو جمعتُ كلّ شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع ·

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ قال رسول الله ﷺ كنتُ لك كأبي زرع لأم زرع ·

اللغة :

(١) :

فتعاهدن وتعاقدن : أي ألزمن أنفسهن عهدا وعقدا على الصدق ، واجتماعن كان في قرية من قرى اليمن ، أو في مكة ، في الجاهلية ·

غث : بفتح الغين وتشديد الثاء ، وهو الهزيل الذي يستغاث من هزاله ·

على رأس جبل : تصف قلة خيره وبعده مع القلة،كالشيء في رأس الجبل الصعب لا ينال إلا بالمشقة ·

لا سهل فيرتقى : أي لا هو سهل فيصعد ·

ولا سمين فينتقل : أي لا يأتي إليه أحد لصعوبة المسلك ، ولا يؤتى به إلى أحد فلا تنقله الناس إلى بيوتهم ليأكلوه لرداءته ، بل يتركوه رغبة عنه ·

والمعنى : أنه قليل الخير من جهة أنه لحم جمل لا لحم غنم ، وأنه مهزول ردىء ، وأنه صعب التناول لا يوصل إليه إلا بمشقة ·

(٢) :

البث : الإظهار والإشاعة ·

إني أخاف أن لا أذره : الهاء إن كانت عائدة إلى الخبر فيكون المعنى : خبره طويل إن شرعت في تفصيله لا أقدر على إتمامه لكثرته ، وإن كانت عائدة إلى الزوج ـ تكون « لا » زائدة ـ ويكون المعنى : أخاف أن يطلقني فأتركه ·

العُجَر : بضم العين وفتح الجيم ، والبُجَر : بضم الباء وفتح الجيم : المراد بهما عيوبه ، والمشهور في الاستعمال أن يراد به الأمور كلها ، وقد أرادت أن زوجها كثير العيوب في أخلاقه منعقد النفس عن المكارم ·

(٣)

العَشَنَّق : بفتح العين والشين وفتح النون المشددة ، وهو الطويل المذموم الطول ، أو هو المقدام على ما يريد،الشرس فى أموره ، وجمعه : عشانقة ، والمرأة عشنقة ٠

إن أنطق أطلق : أى إن ذكرت عيوبه طلقت ، وإن سكتت عنه علقنى فيتركنى لا عزبا ولا مزوجة ، كما فى قوله تعالى : « فَتَذَرُوهَا كالمُعَلَّقَة » (النساء ١٢٩) ، والمراد أنها ليست بذات زوج فتنتفع به ، ولا مطلقه فتتفرغ لغيره،فهى كالمعلقة بين العلو والسفل لا تستقر بأحدهما ٠

(٤)

كليل تهامة : تهامة بكسر التاء ، اسم لكل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز ، وهو من التهم بفتح التاء والهاء ـ وهو ركود الريح أى كليل أهل مكة أصحاب الأمن ، أو كليل ركدت الريح فيه ، أو كليل الربيع وقت تغير الهواء من البرودة الى الحرارة وظهور اعتداله ، وليس فيه أذى بل فيه راحة ولذاذة،عيش كليل تهامة لذيذ معتدل ليس فيه حر مفرط ولا برد ٠

القر : بالضم البرد ٠

السآمة : الملالة ٠

فهى تصف زوجها بأنه لين الجانب ، خفيف الوطأة على الصاحب ، حامى الذمار ، مانع للدار والجار ، لا مخافة عند من يأوى إليه ٠

(٥)

إن دخل فهد : إن دخل البيت فعل فعل الفهد فى كثرة نومه ، ففى ساعة راحته يكون معرضا عما تلف من أمواله وما بقى منها ٠

وإن خرج أسد : ويكون فى حال خروجه كالأسد ، فهو سهل على الأحباء ، صعب على الأعداء ٠

ولا يسأل عما عهد : لا يتفقد ما ذهب من ماله ، ولا يلتفت إلى معايب البيت ، وكأنه ساه عن ذلك ٠

(٦)

إن أكل لفّ : بفتح اللام والفاء المشددة ، فعل ماض من اللف ، وهو الإكثار من الطعام مع التخليط من صنوفه حتى لا يبقى منه شيئا ٠

إن شرب اشتف : من الاشتفاف ، وهو أن يستوعب جميع ما فى الإناء والشفافة بضم الشين ، هو ما بقى فى الإناء من الماء ، فإذا شربه قيل له : اشتفه ٠

وإن اضطجع التف : إذا نام التف فى ثيابه فى ناحية ٠

(٧)

غياياء أو عياياء : الشك من الراوى ، الغياياء بالغين ـ مأخوذ من الغاية وهى كل ما أظلك فوق رأسك من سحاب وغيره ، ومنه سميت الراية ؛ غاية ، فكأنه غُطِّى عليه من جهله وسترت مصالحه ، أو أنه منهمك فى الشر ، قال تعالى : « فَسَوْفَ يَلْقَوْن غَيًّا » (مريم ٥٩) ، والعياياء : هو الذى عى بالأمر والمنطق ٠

طباقاء : وهو المطبقة عليه الأمور حمقا ، وقيل : الذى يعجز عن الكلام ٠

كل داء له داء : كل داء تفرق فى الناس فهو فيه ٠

شجك : جرحك فى رأسك ، وجراحات الرأس تسمى « شجا » ٠

الفل : الضرب والكسر ٠

أو جمع كلا لك : جمع كل هذا وهو الضرب ، والجرح ، وكسر الأعضاء ٠

(٨)

المس مس أرنب : وصفته بحسن الخلق ولين الجانب ، فإذا وضعت يدك على ظهره لان ٠

الريح ريح زرنب : الزرنب ـ بوزن أرنب ـ نبت طيب الرائحة ٠

والألف واللام فيهما نائبة عن الضمير ، وأصله زوجى مسه مس أرنب ، وريحه ريح زرنب ، وفى النسائى زيادة « وأنا أغلبه ، والنَّاسَ يَغلب » ٠

(٩)

رفيع العماد : والعماد عماد البيت،وهو العمود الذى يدعم به البيت ، تعنى أنه فى حسبه

وشرفه رفيع ، أو بيته عال ـ لا كبيوت الفقراء ـ يراه أرباب الحوائج والأضياف فيأتونه .

طويل النجاد : والنجاد حمائل السيف ، فمن كان طويل القامة كانت حمائل سيفه طويلة ، وتعنى بذلك طول القامة،وهو علامة الشرف والسيادة .

عظيم الرماد : أى جواد ، فكثرة الرماد تستلزم كثرة النار التى تدل على كثرة الطبخ ، وتشير إلى كثرة النيران ، والأجواد يعظمون النيران فى ظلام الليل ، ويوقدونها على التلال لاهتداء الضيف إليهما .

قريب البيت من الناد : أى كريم ، فالنادى مجلس القوم ، ولا يقرب منه إلا من هذا صفته ، لأن الضيفان يقصدون النادى وينزلون على من فيه ، واللئام يتباعدون منه فرارا من نزول الضيف .

(١٠)

كثيرات المبارك : جمع مبرك وهو موضع البروك ، فهو يبركها فى فناء داره ، لا يوجهها تسرح إلا قليلا ، حتى إذا نزل به الضيف كانت الإبل حاضرة ، فيقريه من ألبانها ولحومها .

قليلات المسارح : وهو جمع مسرح ، وهو الموضع الذى تسرح إليه الماشية بالغداة للمرعى ، فإبله لا تغيب عن الحى ، ولا تسرح إلى المراعى البعيدة ، ولكنها تبرك بفنائه خوفا من أن ينزل به ضيف وهى بعيدة ، وقيل إن إبله كثيرة فى حال بروكها ، فإذا سرحت كانت قليلة لكثرة ما نحر منها .

المزهر : بكسرالميم ، هو العود الذى يضرب به ، فزوجها قد عود الإبل إذا نزل به الضيفان أتاهم بالعيدان وآلات الطرب ونحرلهم منها ، فإذا سمعت الإبل صوت المزهر علمت يقينا أنه قد جاء الضيفان وأنهن هوالك .

وإذا كانت الكلمة : بضم الميم وكسر الهاء ، فالمعنى : هو الذى يزهر النار للأضياف فإذا سمعن صوت ذلك أيقنت بالذبح .

(١١)

أناس : فعل ماض من النوس ، وهو الحركة من كل شىء .

الحُلِىّ : بضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء ، جمع (حَلْى) بفتح الحاء وسكون اللام

وتخفيف الياء ، وهو اسم لكل ما يتزين به من مصاغ الذهب والفضة ، والمعنى : ملأ أذنى بما جرت به عادة النساء من التحلى به فى الأذن من القرط من ذهب وفضة ولؤلؤ ٠

وملأ من شحم عضدى : تثنية عضد ، وقد أرادت الجسد كله ، لأن العضد إذا سمن سمن سائر الجسد ، وخصت العضد لأنه أقرب مايلى بَصَر الإنسان من جسده ٠

غنيمة : تصغير غنم ٠

بشق : اسم موضع ، وقيل : اسم جبل ، كأنها تريد أنهم لقلتهم وقلة غنمهم حملهم على سكنى شق الجبل أى ناحيته ٠

أهل صهيل : أى أصحاب صهيل،وهو صوت الخيل ٠

أطيط : أصوات الإبل وحنينها ، والعرب لا تعتد بأصحاب الغنم ، وتفضل أصحاب الإبل ٠

دائس : اسم فاعل من الدوس وهو الذى يدوس الطعام ، فكأنها أرادت أنهم أصحاب زرع ٠

مُنَقّ : المنق ـ بضم الميم وفتح النون وتشديد القاف ـ هو الذى ينقى الدراس من التبن وتحوه كالغربال ، وقيل بكسر الميم ٠

ومعناه : نقيق أصوات المواشى والأنعام تصف بذلك كثرة ماله ٠

فلا أقبح : فلا أنسب إلى التقبيح فى القول ، بل يقبل منى ٠

وأرقد فأتصبح : أى أنام الصبيحة ، وهى أول النهار ، ولا أوقظ ، لأن عندى من يكفينى الخدمة ٠

وأشرب فأتقمح : أى أروى حتى لا أحب الشرب ، مأخوذ من الناقة المقامح وهى التى ترد الحوض فلا تشرب وترفع رأسها ٠

عكومها رداح : العكوم جمع (عِكْم) بكسر العين وسكون الكاف كجلود وجلد ، وهى الأعدال والأوعية التى تجمع فيها الأمتعة ، ورداح : عظام كثيرة ٠

وبيتها فَسَاح : بفتح الفاء وتخفيف السين ، أى واسع ٠

وقد وصفت أم زوجها بأنها كثيرة الآلات والأثاث ، واسعة البيت ، كثيرة الخير ، ورغد العيش ٠

مَسَلّ شطبة : المَسَلّ بفتح الميم والسين وتشديد اللام ، مصدر ميمى بمعنى المسلول ، أو اسم مكان ، ومعناه : كمسلول الشطبة ، والشطبة : ما يشطب من جريد النخل فيشق منه

قضبان رقاق تنسج منها الحصر ، ويقال للمرأة التى تفعل ذلك الشاطبة ، فمضجعه الذى ينام فيه فى الصغر كقدر مسلول الشطبة ٠

ذراع الجَفْرة : بفتح الجيم وسكون الفاء ، وهى الأنثى من أولاد المعز ، والذكر جفر ، وهى التى مر من عمرها أربعة أشهر ٠

طوع أبيها : بارة به،لا تخرج عن أمره ٠

ملء كسائها : ممتلئة الجسم ٠

وغيظ جارتها : المراد من الجارة الضرة ، يغيظها ما ترى من حسنها وجمالها وأدبها وعفتها ٠

لاتبث الحديث : لا تفشيه ولا تظهره ٠

لاتُنَقِّث : بضم التاء وفتح النون وتشديد القاف ، أى لا تسرع فى الميرة بالخيانة ، والميرة ، ما يحضره البدوى من الحضر ويحمله لمنزله لينتفع به ، والمراد : أنها أمينة ٠

ولا تملأ بيتنا تعشيشا : لاتترك الكناسة والقمامة فى البيت مفرقة كعش الطائر ، بل هى مصلحة للبيت معتنية به ٠

والأوطاب تمخص : الأوطاب جمع وطب ، وهو وعاء اللبن خاصة ، وتمخض من المخض وهو أخذ الزبد من اللبن ، وقولها : يحتمل أنها تنكر خروجه من منزلها وعندهم خير كثير ، ولبن غزير ، يشرب صريحا ومخيضا ، ويحتمل أن خروجه كان فى أيام الربيع وطيبه وقد يكون خروجه لسفر أو لغيره ٠

يلعبان من تحت خصريها برمانتين : تريد أن هذه المرأة كانت ذات كفل عظيم فإذا استقلت على ظهرها ارتفع كفلها من الأرض حتى تصير تحتها فجوة يجرى فيها الرمان ، وقد يكون المراد بالرمانتين : الثديين ٠

وسبب الوصف للمرأة بأن لها ولدين كالفهدين أن العرب كانت ترغب فى كون الأولاد من النساء النجيبات فى الخَلْق والخُلُق ٠

رجلا سريا : سَيِّدًا شريفا ٠

ركب شريا : أى فرسا شريا يستشرى فى سيره ، ويمضى بلا فتور ٠

وأخذ خَطِّيا : بفتح الخاء وتشديد الطاء ، أى منسوب إلى الخط وهو موضع معروف بنواحى البحرين تجلب الرِّيَاح منه ٠

وأراح على نعما ثريا : أراح من الاراحة وهو السوق إلى موضع المبيت بعد الزوال

والثرى : الكثير المال من الإبل وغيرها ، والنعم : الإبل خاصة ، وقيل : الإبل والغنم والبقر ٠

وأعطانى من كل رائحة زوجا : الرائحة : كل ما يروح من الإبل والبقر والغنم والعبيد والإماء ، وزوجا : أى اثنين ، وقد يراد من الزوج الصنف كقوله تعالى : « وكنتُم أزْوَاجًا ثَلاَثَةً » (الواقعة ٧) ٠

مِيرى : بكسر الميم ، صلى أهلك بالميرة وهى الطعام ٠

أعطانيه : الضمير « الهاء » يعود على الزوج الثانى ٠

كنت لك كأبى زرع لأم زرع : قال لها رسول الله ﷺ ذلك تطييبا لخاطرها ولحسن عشرته إياها ، ثم استثنى أنه طلقها تتميما لطيب نفسها ـ كما جاء فى الرواية الأخرى ـ و (كان) هنا زائدة ، أى أنا لك ، كقوله تعالى : « كُنْتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » (آل عمران ١١٠) أى انتم ، ويمكن أن يكون معناها : الدوام ، كقوله تعالى : « وكان الله سميعاً بَصِيرًا » ويمكن أن يكون معناها على ظاهرها : أى كنت لك فى علم الله السابق ٠

وهذه الجملة هى الحديث المرفوع إلى الرسول ﷺ وماعداها فهو من كلام عائشة ـ رضى الله عنها ٠

البلاغة :

فى هذا الحديث الشريف تكثر فيه الكنايات اللطيفة ، فيطلق اللفظ ولا يراد معناه الحقيقى ، وإنما يراد لازمه ، كما يعظم فيه التشبيهات البليغة ، فيذكر الطرفان دون أداة التشبيه ووجه الشبه ، بدعوى اتحاد الطرفين مبالغة وادعاء ، وإليك البيان ٠

١ ـ زوجى لحم جمل غث : تشبيه بليغ ، والمشبه به لحم جمل ، إشارة إلى أن خيره قليل ، وأنه مهزول ردىء وأنه صعب التناول ، لا يوصل إليه إلا بمشقة شديدة ، وهو من تشبيه الخفى بالجلى والمتوهم بالمحسوس ٠

٢ ـ زوجى كليل تهامة : شبهت زوجها بليل تهامة ، لبرودة هوائه ، واعتدال جوه ، ولذاذة العيش فيه ، فليس فيه حَرٌّ مفرط ، ولا برد يؤذى ٠

٣ ـ إن دخل فهد : شبهته بالفهد فى استغراقه فى النوم ، وعدم محاسبتها عما تلف من أمواله ومابقى منها ٠

٤ ـ وإن خرج أسد : شبهته بالأسد فى الوقوف أمام الأعداء ، فتصفه بالنشاط فى الغزو ،

والسهولة مع المحبين ، كقولـه تعالـى : « أشِـدَّاءُ علـى الكفـارِ رُحَمـاءُ بينهـم » (الفتح ٢٩) .

٥ ـ وبين الجملتين « إن دخل فهد ، وإن خرج أسد » مقابلة[١] .

٦ ـ المس مس أرنب : تشبيه بليغ ، وخصت الأرنب لنعومة وبره .

٧ ـ الريح ريح زرنب : تشبيه بليغ وخصت الزرنب لشهرته بطيب الرائحة فى البادية .

٨ ـ وبين الجملتين السابقتين حسن المناسبة والموازنة والتسجيع .

٩ ـ وفى رواية النسائى زيادة ، وهى : وأنا أغلبه ، والناسَ يغلب » وفيها من البديع ما يسمى « التكميل »[٢] ، لأنها لو اقتصرت على قولها : « وأنا أغلبه » لظن أنه جبان ضعيف ، فلما قالت : « والناس يغلب » دل على أن غلبتها إياه إنما هو من واجب كرم سجاياه ، فتممت بهذه الكلمة المبالغة فى حسن أوصافه .

١٠ ـ رفيع العماد : كناية عن شرفه وعلو حسبه ، والكناية تحمل معها الدليل فكأن المعنى : هو شريف النسب عالى الحسب ، لأنه رفيع العماد .

١١ ـ طويل النجاد : كناية عن طول القامة ـ وهو من علامات الشرف والسيادة .

١٢ ـ عظيم الرماد : كناية عن الكرم .

١٣ ـ قريب البيت من الناد : كناية عن الكرم والسماحة أيضا .

وفى هذه الكنايات الأربع نوع بديع من السجع الذى زان الكلام ، وجعله من البلاغة بمكان ، وقد حذف الياء من « النادى » ليتم السجع وتتوافق أواخر الكلمات ، وذلك مما يدل على مكانة السجع فى العربية ، وقد جاء القرآن على ما اعتاد العرب وألفوا ، فحذف الياء من « يسر » فى قوله تعالى أول سورة الفجر : « والفجرِ ، ولَيالٍ عَشْرٍ ، والشفْعِ والوَتْرِ ، والليل إذَا يَسْرِ » .

١٤ ـ زوجى مالك ، وما مالك ؟! : « ما » هى للاستفهام ، لكنها خرجت منه إلى التعظيم والتهويل ، أى شىء هو ، ما أعظمه وأكرمه وأكبره !! ، فهى أرادت بهذه الألفاظ تعظيم زوجها ، وقد جاء القرآن الكريم بهذا الأسلوب لهذا المعنى فى قوله تعالى فى أول سورة الحاقة : « الحاقّةُ ، مَا الحاقّة ، وما أدْرَاك ما الحَاقَّة » ؟! أى ما أعظم أمرها وأهولها !! .

---

(١) ومعناها : أن يؤتى بمعنيين أو معان ثم يؤتى بما يقابلهما على الترتيب .

(٢) ومعناه : أن يؤتى فى كلام بمهم خلاف المقصود مما يدفع ذلك الإيهام ويسمى أيضا « الاحتراس » .

١٥ ـ له إبل كثيرات المبارك : كناية عن الكرم ، وفى رواية : عظيمات المبارك ، فيكون كناية عن سمنها وعظم جسومها ٠

١٦ ـ وملأ من شحم عضدى : المراد الجسم كله لأنه إذا سمن العضد سمن الجسم كله ـ مجاز علاقته الجزئية ، وخصت العضد لأنه أقرب مايلى بَصَر الإنسان من الجسد٠ وأرقد فأتصبح : كناية عن الترف والنعمة فهى تنام فى الصباح لأن عندها ما يكفيها الخدمة من الخدم وغيرهم ٠

١٧ ـ عكومها رداح،وبيتها فساح : وصفت والدة زوجها بأنها كثيرة الآلات والأثاث والقماش كبيرة البيت ، وقد يكون هذا من قبيل الحقيقة فيدل على عظم الثروة ، وقد يكون كناية عن كثرة الخير ورغد العيش والبر بمن ينزل بهم ٠

١٨ ـ مضجعه كمسل شطبه : شبهت ابن زوجها فى مضجعه كقَدْرِ مسلول الشطبة الواحدة ، وقد يكون المراد أنه كسيف مسلول من غمده ، وسيوف اليمن كلها ذا شطب ، وهى الطرائق التى فى متن السيوف ٠

١٩ ـ ويشبعه ذراع الجفرة : كناية عن قلة أكله ، وأنه ليس ببطين ٠

٢٠ ـ ملء كسائها : كناية عن امتلاء جسمها وسمنها ٠

٢١ ـ خرج أبوزرع والأوطاب تمحض : هذه الجملة خبرية ، قد يراد منها : الإخبار حقيقة بأنه خرج فى استقبال الربيع وطيبه ، وكان خروجه فى سفر أو غيره ، وقد يكون المراد منها : أنها أنكرت خروجه من منزلها غدوة وعندهم خير كثير ولبن غزير يشرب صريحا ومخيضا ، ويفضل عندهم ما يمخضوه فى الأوطاب ٠

٢٢ ـ يلعبان من تحت خصرها برمانتين : كناية عن أن المرأة كانت ذات كفل عظيم ، فإذا استلقت على ظهرها ارتفع كفلها بها من الأرض حتى تصير تحتها فجوة يجرى فيها الرمان ٠

وقد يكون المراد بالرمانتين : الثديين ، ويكون الكلام على الاستعارة ، وليس هناك كناية ٠

٢٣ ـ وفى قول رسول الله ﷺ : كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، تشبيه حالته ، ﷺ مع عائشة بحالة أبى زرع مع زوجته ، فجمله أحواله . عليه السلام ـ تشبه جملة أحوال أبى زرع ، لكن فى جملة أحوال أبى زرع ما هو مذموم ـ وهو طلاق زوجته فأراد الرسول ﷺ أن يحقق ما يشبهان بعضهما فيه ويسوى بين الطرفين فقال ـ عليه

السلام ـ فى رواية أخرى : إلا أن أبازرع طلق أم زرع وأنا لم أطلقك ، وهذه الجملة التى جاءت فى الرواية الأخرى : هى كالإيغال[1] مبالغة فى التشبيه وتحقيقا للتساوى بين الطرفين .. كقول الشاعر :

حملتُ رُدَيْنِيًّا كأن سِنانه سَنا لهبٍ لم يتَّصل بدُخَان

****

(١) ومعناه : ختم الكلام ـ شعرا أو نثرا ـ بما يفيد فائدة يتم المعنى بدونها .

٥

عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ أنه قال :[١]

سمع النبى ﷺ رجلا يُثْنِى على رجل ويُطريه فى مدْحه ، فقال : أهلكتُم ، أو قَطعْتُم ظهر الرجل » ٠

وعن أبى بكرة قال :[٢] :

أثنى رجل على رجل عند النبى ﷺ فقال : « وَيْلكَ ، قطعتَ عُنقَ صاحبكَ ، قطعتَ عُنَق صاحبك مِرَارًا ، ثم قال : من كان منكم مادحًا أخاه لا محَالةَ فَلْيَقُلْ : أحسِب فلانًا والله حسِيبُه ، ولا أزكىِّ على الله أحدًا ، أحسِبُه كذَا وكذا إن كان يعلم ذلك منه » ٠

اللغة :

أبوموسى الأشعرى : مضى التعريف به فى الحديث رقم (١) ٠

أبوبكرة : بفتح الباء اسمه : نقيع بن الحارث الثقفى ٠

أثنى رجل على رجل : قيل المثْنِى ـ بكسر النون هو محجن بن الأدرع الأسلمى ، ومِحْجَن بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الجيم ، وهو قديم الإسلام نزل البصرة واختَطَّ مسجدها ٠

(٢،١) عمدة القارى ج ٢٣٧/١٣ ، ٢٣٨ ٠

والمُثْنَى عليه : ذو البِجَادين ، بكسر الباء ، مات فى غزوة تبوك ، ودفنه النبى ﷺ وحطه بيده فى قبره ، وقال : « اللهم إنى قد أمسيت عنه راضيا فارض عنه » قال ابن مسعود ـ وكان حاضرا ـ فليتنى كنت صاحب الحفرة ٠

ويلك : الويل فى الأصل ، الحزن والهلاك والمشقة من العذاب ، ويستعمل بمعنى التفجع والتعجب ، وههنا كذلك،فالرسول ـ عليه السلام ـ يتعجب من صنعه ذلك ٠

لا محالة : بفتح الميم ، أى ألبتة ، لابد منه ، أى من ألجأته الضرورة إلى مدح أخيه ٠

أحْسِب فلانا : أظنه بكسر السين فى الماضى وفتحها فى المضارع ، وأما حسُبته أحسُبه ـ بالضم ـ إذا عددته ٠

والله حسيبه : أى كافيه ٠

ولا أزكى على الله أحدا : أى لا أقطع له على عاقبة أحد بخير ولا غيره ، لأن ذلك مغيب عنا ، لكن نقول : نحسب ونظن ٠

إن كان يعلم ذلك منه : المراد من العلم : الظن ، وكثيرا ما يجىء العلم بمعنى الظن ٠

البلاغة :

فى « قطعتم ظهر الرجل ، أو أهلكتم الرجل ، أو قطعتم عنق صاحبك » استعارة تبعية ، فقد صور الرسول ـ عليه السلام ـ تلك الصورة المعنوية وهى : اغترار الرجل ـ المثنى عليه ـ وما يحصل له من العجب والتكبر نتيجة للإطرء والثناء ، وذلك يؤدى إلى وصفه بالصفات التى تؤدى إلى هلاكه ، شبه تلك الحال العقلية بحاله محسوسة وهى : قطع العنق والقتل ، لاشتراكهما فى الهلاك ٠

وجملة « قطعت عنق صاحبك » خبرية معناها الدعاء ، أو التعجب ، فهذا العمل من المثنى أمر خطير يستحق عليه الدعاء ، أو العجب ٠

وتكرار الجملة أكثر من مرة من الرسول ـ عليه السلام ـ سنة بيانية من سنن العرب ، وجاء عليها القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، إرادة الإبلاغ فى الإنذار والتنبيه ، تربية للمؤمنين على الحيطة والأناة ، وضبط النفس وصونا للسان من الكذب وبراءة لصاحبها ـ فيما بعد ـ من الاعتذار والأسف ٠

****

٦

عن على بن الحسين ـ رضى الله عنهما ـ أنَّ صفيةَ زوجَ النبى ﷺ[١] أخْبَرَتْهُ :

أنها جاءت رسول الله ﷺ تزوره فى اعتكافه فى المسجد فى العشر الأواخر من رمضانَ ، فتحدثَتْ عنده ساعةً ، ثم قامتْ تنقلبُ ، فقام النبى ﷺ يَقْلِبُها ، حتى إذا بلغتْ باب المسجد عند باب أمِّ سلمةَ ، مرَّ رجلان من الأنصار فسلَّما على رسول الله ﷺ فقال لهما النبى ﷺ : على رِسْلِكما ، إنما هى صفيةُ بنتُ حُيَىٍّ ، فقالا : سبحانَ الله يارسول الله ، وكبُر عليهما ، فقال النبى ﷺ إنّ الشيطان يبلغُ من الإنسان مبْلَغَ الدَّم ، وإنى خَشِيتُ أن يقْذِفَ فى قُلوبكما شيئًا » .

اللغة :

قامت تنقلب : ترد إلى بيتها .

يقلبها : يردها إلى بيتها .

على رسلكما : الرسل ، السير السهل والراء مكسورة ومفتوحة بمعنى التؤدة وترك العجلة ، وقيل بالكسر التؤدة ، وبالفتح الرفق واللين ، والمعنى متقارب .

كبر : عظم وشق عليهما .

---

(١) عمدة القارى ج ١١/١٥٠

إنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا : إنى أخاف عليكما الكفر لو ظننتما ظن التهمة فبادر ـ عليه السلام ـ إلى إعلامهما بمكانهما نصيحة لهما فى أمر الدين ٠

البلاغة :

فى الحديث ثلاثة تأكيدات بـ « إن » :

١ ـ إنها صفية ، فإسراع الرجلين يشعر بالتحرج من رؤية الرسول ـ عليه السلام ـ فى هذه الحال ، ثم إن عدم معرفتهما الحقيقة مجال للظن ، لذلك حسن إتيان التأكيد بـ « إن » لتأكيد المعرفة بالمرأة ، وإزالة الظن السيء الذى لوح به إسراع الرجلين ٠
ولم يأت بأكثر من تأكيد لأنهما لم ينكرا شيئا على الرسول ـ عليه السلام ـ بدليل أنه راعهما أن يجعل إسراعهما دليلا على الاتهام ، فطلب منهما عدم الإسراع كما أن تعجبهما بقولهما : سبحان الله !! فيه بيان لطهارتهما من سوء الظن ٠
ولهذا كان من مقتضى الحال أن يسرع الرسول ـ عليه السلام ـ ويعلن تبرئة ساحته بالجملة المؤكدة بالمؤكد الواحد ٠

٢ ـ إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم : جاء الكلام بتأكيد واحد تنبيها لما ينبغى أن يعلم على وجه التأكيد من شدة ملابسة الشيطان للإنسان ٠

٣ ـ إنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا : فى الجملة تأكيد لحرصه ـ عليه السلام ـ عليهما ، وخشية أن يقدر الشيطان على النفاذ إليهما فيقذف الشر فى قلوبهما ٠
وفى الإتيان بالمضارع « يبلغ » يفيد تجدد وثبات الشيطان على بنى آدم ٠
فقالا : « سبحان الله » إما حقيقة ، أى أنزه الله تعالى عن أن يكون رسوله متهما بما لا ينبغى ، أو كناية عن التعجب من هذا القول ٠
إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم : تشبيه بليغ ، أى كمبلغ الدم ، ووجه الشبه بين طرفى التشبيه : شدة الاتصال وعدم المفارقة بينهما ٠

****

٧

عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن عمرَ بنَ الخطاب[١] بينا هو قائمٌ فى الخطبة يومَ الجمعة :

إذْ دخل رجلٌ من المهاجرين الأولين من أصحاب النبى ﷺ فناداه عمرُ : أيَّةُ ساعةٍ هذه ؟ ! قال : إنىٍّ شُغِلت فلم أنقلبْ إلى أهلى حتى سمعتُ التأذين ، فلم أزِدْ أنْ توضأتُ ، فقال : والوضوءُ أيضا ، وقد علمتَ أنَّ رسول الله ﷺ كان يأمرُ بالغسل ..

اللغة :

عبدالله بن عمر : هو ابن عمر بن الخطاب ، زاهد الصحابة ، وعالمهم ، وأحد العبادلة ، وهو أحد الصحابة الستة الذين هم أكثر رواية للحديث النبوى ، ومذهب البخارى أن أصح الأسانيد : مالك عن نافع عن ابن عمر ، ويسمى هذا الإسناد بـ (سلسلة الذهب) مات بمكة سنة ٧٣ هـ .

بينا : أصله بين فأشبعت فتحة النون فصار بينا ، وربما يدخلها « ما » فيقال : بينا ، وهما ظرفا زمان بمعنى المفاجأة ، ويضافان إلى جملة،ويحتاجان إلى جواب يتم به المعنى ، والجواب هنا : إذ دخل رجل .

إذ دخل رجل : هو عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه .

---

(١) عمدة القارى ج ١٦٦/٦

من المهاجرين الأولين : هم من أدرك بيعة الرضوان ، أوهم من صلى القبلتين ، أوهم من شهدوا بدرا ٠

أية ساعة هذه ؟ : أية،كلمة يستفهم بها وأنثت لأجل « ساعة » ويجوز التذكير كقوله تعالى : « وما تَدْرِى نَفْسٌ بأىِّ أرْضٍ تَموت » (لقمان ٣٤) والساعة : تطلق على جزء من أربعة وعشرين جزءا هى مجموع اليوم والليلة ٠

فلم أنقلب : الانقلاب : الرجوع من حيث جاء ٠

فلم أزد أن توضأت : (أن) مزيدة لتأكيد النفى ٠

فقال : والوضوء : الواو للعطف على الإنكار الأول : « أية ساعة هذه ؟ » لأن معنى الإنكار : ألم يكفك أن أخرت الوقت وفوت فضيلة السبق حتى اتبعته بترك الغسل والقناعة بالوضوء ؟ فتكون هذه الجملة المبسوطة مدلولا عليها بتلك اللفظة ، والوضوء : مبتدأ خبره محذوف ، والتقدير : والوضوء يقتصر عليه أيضا ٠

البلاغة :

أية ساعة هذه ؟ : ليس المراد من الاستفهام حقيقته ، لكن المراد التعريض بالإنكار عليه لتأخره عن الحضور للصلاة ، وكأنه قال له : لم تأخرت إلى هذه الساعة ؟والتعريض ليس من الحقيقة ، وليس من المجاز ، وليس من الكناية ، فهو : « المعنى الذى يحصل من اللفظ لا به » فالحقيقة والمجاز والكناية يدل عليها بالألفاظ فهى حاصلة عند ذكر الألفاظ وبها ، أما التعريض فهو حاصل بغير اللفظ،وهو السياق وقرائن الأحوال ٠

ويؤيد ذلك قوله تعالى : « ولا جُناحَ عليكم فيمَا عَرَّضْتم به من خِطْبة النِّساء أوْ أكْنَنْتُم فى أنفسكم » (البقرة ٢٣٥) ، وذلك فى أثناء العدة بأن يقول الراغب فى زواجها بعد انتهاء العدة : « إنك لصالحة ، أو عسى الله أن ييسر لى امرأة صالحة ، أو إنى لمحتاج إلى من آنس به » فهذا تعريض برغبته فيها ، أما إذا قال ذلك على طريق الكناية أو المجاز أو الحقيقة فإنه يكون آثما ٠

فهذا وأمثاله من الكلام الذى تذكره لتدل به على شىء لم تذكره هو التعريض ، فالزواج ـ مثلا ـ ليس مدلولا لهذه الألفاظ لاحقيقة ولا مجازا ولا كناية ، وإنما هو مدلول السياق وقرائن الأحوال ٠

وقياسا على الآية الكريمة،فالسؤال عن الساعة إنما ينتقل منه المخاطب إلى العقاب على تأخير الحضور بواسطة أمور خارجة عن اللفظ من نحو وقت السؤال ، وحال المسئول والمسئول عنه ، فإيراد السؤال عند تجمع هذه الأحوال هو المسمى بـ « السياق وقرائن الأحوال » .

****

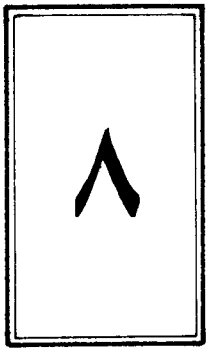

عن عقبة بن عمرو أبى مسعود ، قال :[1]

« أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمين ، فقال : الإيمانُ يمانٍ هَهُنا ، ألاَ إنّ القسوةَ وغِلظ القلوب فى الفَدَّادِين عند أصولِ أذنابِ الإبل حيثُ يطلعُ قَرْنا الشّيطان فى ربيعة ومُضَر » .

اللغة :

عقبة بن عمرو الأنصارى البدرى ، وكنيته أبومسعود .

نحو اليمين : كان الرسول ﷺ بتبوك ، وقال هذا القول وأشار إلى ناحية اليمن وهو يريد مكة والمدينة ، ونسبهما إلى اليمن لكونهما من ناحيته .

الإيمان يمان : أصله « الإيمانُ يمانىٌّ » بياء النسب ، فحذفوا الياء للتخفيف كما قالوا : تهامون وأشعرون وسعدون ، وقال الرسول ـ عليه السلام ـ ذلك : لأن الإيمان بدأ من مكة وهى من تهامة ، وتهامة من أرض اليمن ، ولهذا يقال : الكعبة اليمانية ، وقال هذا للأنصار لأنهم يمانون وهم نصروا الإيمان والمؤمنين وآووهم فنسب الإيمان إليهم .

ألا إن القسوة وغلظ القلوب : ألاَ : حرف استفتاح وهو لتوكيد مضمون الجملة وهو مركب من همزة الإنكار وحرف النفى ، والإنكار نفى ، ونفى النفى إثبات ، فركب الحرفان لإفادة

---

(١) عمدة القارى ج ١٥/١٩١

التحقيق والتأكيد ، فَصَارا بمنزلة « إنَّ » والقسوة وغلظ القلوب لمسمى واحد كقوله تعالى : « إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى وَحُزْنِى إلى الله » (يوسف ٨٦) والبث هو الحزن ٠

فى الفدادين : الفدادون جمع فداد ـ بتشديد الدال ، وهو من بلغت إبله مائتين وألفا إلى أكثر ، وقيل : هم المكثرون من الإبل جفاة وأهل خيلاء ، وقيل : هم الجمالون والرعيان والبقارون والحمالون ، وقيل : هم الذين تَعْلُو أصواتهم فى حروبهم وأموالهم ومواشيهم من « الفديد » وهو الصوت الشديد ٠

عند أصول أذناب الإبل : أى إنهم يبعدون عن الأمصار فيجهلون معالم دينهم ، حيث يطلع قرن الشيطان : أى جانبا رأسه ٠

فى ربيعة ومضر : يتعلق بقوله « فى الفدادين » أى المصوتين عن أذناب الإبل وهو فى جهة المشرق حيث هو مسكن هاتين القبيلتين ـ ربيعة ومضر ـ ويحتمل أن يكون « فى ربيعة ومضر » بدلا من الفدادين ٠

وعبر عن المشرق بقوله : حيث يطلع قرنا الشيطان ، وذلك أن الشيطان ينتصب فى محاذاة مطلع الشمس حتى إذا طلعت كانت بين قرنى رأسه ـ أى جانبيه ـ فتقع السجدة حين تسجد عبدة الشمس لها ٠

البلاغة :

ألا إن القسوة : ألا حرف استفتاح وهو التوكيد لمضمون الجملة وهو مركب من همزة الإنكار وحرف النفى ، والإنكار نفى ، ونفى النفى إثبات ، فركب الحرفان لإفادة التحقيق والتأكيد ، فصارا بمنزلة (إن) ٠

حيث يطلع قرنا الشيطان : شبه اختصاص هذا المشرق ـ وهو موطن ربيعة ومضر ـ بمزيد من تسلط الشيطان وعمل ما لا يحمد من الأمور،بطلوع قرنى الشيطان وهى الصورة المُفْزِعَة والتى لا يظن منها الخير « استعارة تمثيلية » ٠

****

٩

عن أبى واقد اللَّيْثِىّ[١] :

أن رسول الله ﷺ بينماَ هو جالسٌ فى المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثةُ نفرٍ ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحدٌ ، قال : فوقَفَا على رسول الله ﷺ فأمَّا أحدهما فرأى فُرْجَةً فى الحلْقَة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خَلْفهم ، وأما الثالث فأدْبَر ذاهبًا ، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : ألا أُخبركم عن النَّفَر الثلاثةِ ، أمّا أحدهم فآوَى إلى الله فآواهُ الله ، وأما الآخرُ فاستحيَا فاستحيا الله منه ، وأما الآخرُ فأعرض فأعرض الله عنه » .

اللغة :

أبوواقد الليثى : شهد بدرا ، ورُوى له عن النبى ﷺ أربعة وعشرون حديثا،مات بمكة سنة ٦٨ هـ بعد أن جاور بمكة سنة ، وسنه خمس وسبعون سنة .

بينما : أصله بين زيدت فيه لفظه « ما » وهو من الظروف التى لزمت إضافتها إلى الجملة وفى بعض النسخ « بينا » وأصلها بين فأشبعت فتحة النون بالألف .

النَّفَر : بالتحريك عدة رجال من الثلاثة إلى العشرة ، والمعنى : ثلاثة هم نفر ، وهو اسم جمع وليس بجمع .

---

(١) عمدة القارى ج ٣١/٢

فأقبل اثنان : أقبل من تلك الثلاثة اثنان ٠

فُرْجة : بضم الفاء وفتحها وهو الخلل بين الشيئين ٠

الحلقة : باسكان اللام كل شيء مستدير خالى الوسط ، والجمع ، حلق بفتحتين ٠

فأوى إلى الله : بالهمزة المقصورة ، « فآواه الله » بالهمزة الممدودة ، وهذا هو المشهور فى اللغة ، وفى القرآن « إذْ أَوَى الفِتْيَةُ إلى الكَهْف »[1] ، « وآوَيْنَاهما إلى رَبْوَةٍ »[2] ٠

أوَى إلى الله : لجأ إليه ، أو على الحذف،انضم إلى مجلس رسول الله ، « آواه الله » جعل الله له فى مجلس رسول الله مكانا وفسحة ٠

استحيا : ترك المزاحمة ـ كما فعل زميله ـ حياء من النبى ﷺ ٠

البلاغة :

فوقفا على رسول الله ﷺ فيه حذف مضاف ، أى على مجلس رسول الله ٠

أما أحدهم : فيه حذف تقديره : قالوا : أخبرنا ، فقال : أما أحدهم فأوى إلى الله ٠٠ إلخ ٠

آواه الله : الإيواء بمعنى الإنزال عند الله لايتصور فى حق الله تعالى ، وكذلك « الاستحياء » لأنه انكسار وتغير يعترى الإنسان من خوف يذم به ، وهذا أيضا محال فى حق الله تعالى ، ومثله « الإعراض » فهو الالتفات إلى جهة أخرى ، وهو لا يليق فى حق الله تعالى كذلك ٠

والقاعدة فى مثل هذه الإطلاقات التى لا يمكن حملها على ظواهرها أن يراد بها لوازمها وغاياتها،وعلى هذا فيكون معنى :

فآواه الله : جازاه بنظير فعله ، بأن ضمه إلى رحمته ورضوانه، وقد سمى مجازاته تلك باسم فعله بطريق المجاز ويكون من ذكر الملزوم وإرادة اللازم ، وهذا ما عرف أنه من باب المشاكلة ٠

فاستحيا الله منه : أى جازاه بمثل فعله بأن رحمه ولم يعاقبه ، وقد سمى مجازاته تلك باسم فعله بطريق المجاز ، ذكر الملزوم وأريد لازمه ٠

أعرض الله عنه : أى جازاه بأن سخط عليه وغضب ، وقد سمى مجازاته تلك باسم فعله

---

(١) الكهف ، آية ١٠

(٢) المؤمنون ، آية ٥٠

بطريق المجاز ٠

والعلاقه بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى : اللزوم ٠

والقرينه الصارفة عن إرادة المعنى الحقيقى : هو العقل إذ لا يتصور العقل صدور هذه الأشياء من الله تعالى ٠

ويحتمل أن يكون الكلام من باب التمثيل : أى يفعل الله تعالى فى هؤلاء النفر كما يفعل المؤوى والمستحيى والمعرض ٠

وقد قال الزمخشرى هذا المعنى فى قوله تعالى : « إنَّ الله لا يَسْتَحِيى أنْ يضرب مثلاً ما بَعُوضَةً فما فَوْقَها » (البقرة ١٦) ٠

« فإن قلت : كيف جاز وصف القديم سبحانه به ، ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم ، وذلك فى حديث سلمان قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله حيي كريم يستحيى إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا » ٠

قلت : هو جار على سبيل التمثيل ، مَثَّل تركه تخييب العبد وأنه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه ، بترك من يترك رد المحتاج إليه حياء منه ٠

وكذلك معنى قوله : « إن الله لا يستحيى » ٠٠ ويجوز أن تكون وقعت هذه العبارة فى كلام الكفرة ، فقالوا : أما يستحيى رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت ، فجاءت فى القرآن على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال ، وهو فَنٌّ من كلامهم بديع ، وطراز عجيب منه قول أبى تمام :

مَـن مبلـغٌ أفنـاءَ يعـرُب كلِّها أنِّـى بنيتُ الجـار قبـل المنزل[1]

وشهد رجل عند شريح : فقال إنك لسبط الشهادة ، فقال الرجل : إنها لم تجعد عنى ، فقال : لله بلادك ، وقبل شهادته ٠

فالذى سوغ بناء الجار، وتجعيد الشهادة،هو مراعاة المشاكلة ، ولولا بناء الدار لم يصح

---

(١) فناء الدار : ما امتد من جوانبها وجمعه أفنية ، ويقال : هو من أفناء الناس إذا لم يعلم من أى قبيلة هو ، أى من أطرافهم ، يعرب : اسم قبيلة ، بناء الجار : اتخاذه ، مشاكلة تقديرية حيث قرنه بما بيني وهو المنزل ، وهو مجاز بجامع مطلق الاتخاذ ، أو علاقته المجاورة الذهنية أو اللفظية ٠

بناء الجار، ولولا سبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها[1] .

والألفاظ الثلاثة : « آواه الله ، استحيا الله منه ، أعرض الله عنه » تحتمل الإخبار أو الدعاء .

****

(١) الكشاف ج ٨٤/١

١٠

حدَّث البَرَاء بنُ عازِب ـ رضى الله عنهما ـ فقال :[١]

جعل النبى ﷺ على الرَّجَّالة يوم أُحد ـ وكانوا خمسين رجلا ـ عبدالله بن جُبَيْر ، فقال : إن رأيتمونا تخطَفُنا الطيرُ ، فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا هزمنا القوم ، وأوْطَأناهم ، فلا تبرحوا حتى أُرسل إليكم ، فهزموهم ، قال : فأنا والله رأيت النساء يشتَدِدْنَ قد بدت خَلاَخِلهُنَّ وأسُوقُهن رافعاتٍ ثيابهَن ، فقال أصحاب عبدالله بن جُبَيْر : الغنيمةَ ، أىْ قومُ ، الغنيمةَ ، ظهر أصحابُكم فما تنتظرون ؟

فقال عبدالله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ قالوا : والله لنأتِيَنَّ الناسَ فلنُصيبَنّ من الغنيمة ، فلما أتَوْهُم صُرفَت وجوهُهم ، فأقبلوا منهزمين ، فذاك إذْ يدعوهم الرسول فى أُخْراهم ، لم يبق مع النبى ﷺ غيرُ اثْنَىْ عشر رجلا ، فأصابوا منا سبعين ، وكان النبى ﷺ وأصحابه ، أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة ، سبعين أسيرا ، وسبعين قتيلا ، فقال أبوسفيان : أفى القوم محمد ـ ثلاث مرات ؟ فنهاهم النبى ﷺ أن يجيبوه ، ثم قال : أفى القوم

---

(١) عمدة القارى ج ٩٧/١٧

ابن أبى قحافة ـ ثلاث مرات ؟ ثم قال : أفى القوم ابـن الخطاب ـ ثلاث مرات ؟ ثم رجع إلى أصحابه فقال : أمّا هؤلاء فقد قتلوا ·

فما ملك عمرُ نفسَه ، فقال : كذبتَ ـ والله ياعدو الله ـ إنّ الذين عدَدْت لأحياءٌ كلُّهم وقد بقى لك ما يسوءُك ·

قال : يومٌ بيوم بدر ، والحربُ سِجالٌ ، إنكم ستجدون فى القوم مُثْلةً لم آمر بها ولم تسؤنى ، ثم أخذ يرتجـز : اعْـلُ هُبَلْ ، اعل هبل ·

قال النبى ﷺ ألا تجيبـوا له ، قالـوا يارسـول الله : مانقول ؟ ، قال : قولوا : الله أعلى وأجل ·

قال : إن لنا العُزّى ولا عُزّى لكم ·

فقال النبى ﷺ ألا تجيبوا له ، قال : قالـوا يارسـول الله ، مانقول ؟ قال : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم ·

اللغة :

الرجالة : جمع راجل ـ وهو الفارس ـ على غير قياس ·

عبدالله بن جبير : هو أنصارى شهد بيعة العقبة ، وشهد بدرا ، وقتل يوم أحد شهيدا ، وكانت فى السنة الثالثه للهجرة فى منتصف شوال ·

تخطفنا الطير : الخطف : استلاب الشىء وأخذه بسرعة،يريد الهزيمه ، أى إن رأيتمونا انهزمنا فلا تفارقوا مكانكم ·

أوطأناهم : أى جعلناهم فى معرض الدوس بالقدم ·

يشتددن : أى على الكفار ويعدون عليهم فى الحرب ، وقيل : يمشين يردن أن يرقـين الجبل ·

بدت : ظهرت ·

أسوقهن : جمع ساق ·

الغنيمة : منصوبة على الإغراء،أى الزموا الغنيمة ·

أى قوم : ياقوم وهو منادى ·

ظهر : غلب ٠

صرفت وجوههم : قلبت وحولت إلى الموضع الذى جاءوا منه ، وكان ذلك عقوبة لعصيانهم قول الرسول ـ عليه السلام ٠

فذاك إذ يدعوهم الرسول فى أخراهم : إشارة إلى قوله تعالى يصف فرارهم يوم أحد : « إذْ تُصْعِدُون ولا تَلوُون عَلى أحَدٍ والرسولُ يدْعُوكم فى أُخْرَاكم » (آل عمران ١٥٣) ، وكان الرسول ـ عليه السلام يدعوهم فى جماعتهم المتأخرة ويقول لهم : « إلىّ ياعباد الله،إلى ياعباد الله،من يكر فله الجنة » ٠

فنهاهم رسول الله أن يجيبوه : والسبب فى ذلك تصاونا عن الخوض فيما لا فائدة فيه ، والاستفهام فى « أفى القوم (الثلاث المرات) حقيقى فهو على سبيل الاستخبار ٠ وكانت إجابة سيدنا عمر بعد النهى حماية للظن برسول الله أنه قتل وأن بأصحابه الوهن ٠

يوم بيوم بدر : أى هذا يوم فى مقابلة يوم بدر ، وكان المسلمون قتلوا فيه سبعينا وأسروا مثلهم ٠

الحرب سجال : أى دول مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء ، والأصل : أنّ المستَقِينَ بالسَّجْل ـ وهو الدلو ـ يكون لكل واحد منهم سجال ، قال الشاعر :

فيومٌ علينـا ويومٌ لنا ويومٌ نُسـاءُ ويومٌ نُسرَ

مُثْلة : بضم وسكون الثاء ، اسم من مثل به ، أى نكل به ، ومثله : خُدْعه ، وبفتح الميم وضم الثاء : العقوبة ٠

لم آمر بها : أى لم آمر بالأفعال الخبيثة التى تُرَد على فاعلها نقصا ٠

ولم تسؤنى : يريد لأنكم عدوى ٠

اعل هبل : هبل : اسم صنم كان فى الكعبة ، والمعنى : علوت حتى صرت كالجبل العالى ٠

ألا تجيبوا : بحذف النون بغير ناصب وهى لغة فصيحة ، وروى : ألا تجيبونه ؟

العزى : اسم صنم كان لقريش وهو تأنيث الأعز ٠

المولى : النصير ٠

البلاغة :

يوم أحد : فيه حذف المضاف اختصارا ، والمعنى يوم غزوة أحد ٠

تخطفنا الطير : تمثيل شبه نزول الهزيمة بسرعة على المؤمنين ، بتخطف الطير واستلابه الشيء بسرعة « استعارة تمثيلية » ٠

وفى (أوطأناهم) استعارة،فقد شبه غلبتهم عليهم وظهورهم على عدوهم،بالوطء بالقدم ، وفى هذا التعبير مايدل على غاية التحقير والإهانة ٠

الغنيمة : حذف جملة « الزموا » للاختصار ، وكأنهم لو قالوها لضاعت منهم الفرصة ٠

أنسيتم ؟ : الهمزة للاستفهام الإنكارى ٠

والله لنأتين الناس : التأكيد هنا بأكثر من واحد ، وكأن أصحاب جبير ـ رضى الله عنهم ـ يردون عليه بأسلوب شديد بأنه لم يعد هناك فائدة فى الالتزام بالوقوف وقد رأوا هزيمة العدو ٠

أفى القوم محمد ٠٠ أفى القوم : التكرار ثلاث مرات يبين مدى حرص أبى سفيان على الإجابة تشفيا من المسلمين ، وإظهارا لضعفهم وهوانهم ٠

وفى إجابة سيدنا عمر بأسلوب التأكيد الشديد ما يدفع ما توهمه أبوسفيان من قتلهم وبلوغهم من الوهن أقصاه ٠

الحرب سجال : تشبيه بليغ شُبه المتحاربان،بالمُسْتَقِين،يستقى هذا دلوا وهذا دلوا ٠

لنا العزى ولا عزى لكم : طباق السلب ٠

الله مولانا ولا مولى لكم : طباق السلب ٠

****

١١

عن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال :[١]

« سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول :

« بينَا أنا نائمٌ أُتِيتُ بِقَدح لبنٍ ، فشربتُ حتَّى أنِّى لأَرَى الرِّىَّ يخرجُ فى أظفارِى ، ثم أعْطَيْتُ فضْلى عمرَ بن الخطاب ، قالوا : فما أوّلتَه يارسول الله ؟ قال : العلم » ٠

اللغة :

عبدالله بن عمر : مر التعريف به فى الحديث رقم (٨) ٠

بينا : هى بين فأشبعت فتحة النون فصار بينا ٠

القَدَح : بفتحتين واحد الأقداح التى هى للشرب فيها ، وبكسر القاف وسكون الدال : السهم قبل أن يراش ويركب نصله ، وقدح الميسر ٠

الرِّىّ : بكس الراء وتشديد الياء مصدر رويت من الماء أروى رِيًّا بالكسر ، وحكى الجوهرى الفتح أيضا وقال رَيا ورِيا ، وأما الرواية فعكسه تقول : رَوَيتُ الحديث أرويه رواية بالفتح فى الماضى والكسر فى المستقبل ٠

حتى أنى : بكسر الهمزة على أن « حتى » ابتدائية ، وفتحها على أنها جارة ٠

يخرج فى أظفارى : الضمير فى يخرج راجع إلى اللبن أو إلى الرى ، و« فى » بمعنى على ،

---

(١) عمدة القارى ج ٢/٨٥

كما فى قوله تعالى : « وَلأُصَلِّبَنَّكُم فى جُذُوعِ النَّخْلِ »[٢] أى عليها ، ويكون بمعنى يظهر عليها ٠

البلاغة :

فشربت : حذف المفعول للعلم به ، والتقدير : فشربت اللبن ٠

يخرج : كان مقتضى الظاهر أن يقول : خرج ، ولكنه أراد استحضار صورة الرؤية للسامعين قصدا إلى أن يبصرهم تلك الحالة وقوعا وحدوثا ، لذلك خرج عن مقتضى الظاهر وقال : يخرج ٠

إنى لأرى الرى : هنا خروج عن مقتضى الظاهر أيضا ، فالصحابة ـ رضوان الله عنهم ـ لم يكونوا منكرين ولا مترددين فى إخباره ـ عليه السلام ـ فما فائدة هذه التأكيدات ؟ إن،واللام،وصوغه بالجملة الاسمية ٠

وذلك أن قوله : «أرى الرى يخرج فى أظفارى» أورثهم حيرة فى خروج اللبن من الأظفار فأزال تلك الحيرة بهذه التأكيدات ٠ كما فى قوله تعالى : « وَما أُبَرِّىءُ نَفْسى إنَّ النَّفْس لأَمَّارةٌ بالسُّوء »[٣] لأن « ما أبرىء نفسى » أى لا أزكيها،أورث المخاطب حيرة فى أنه كيف لا ينزه نفسه عن السوء مع كونها مطمئنة زكية ، فأزال تلك الحيرة بقوله : إن النفس لأمارة بالسوء » فهى أمارة بالسوء فى جميع الأشخاص إلا من عصم الله ٠

إنى لأرى الرى : فيه استعاره بالكناية ، فقد صور الرى بجسم يرى ، وحذف المشبه به وأضيف إليه ما هو من خواص الجسم وهو الرؤية ٠

وتفسير اللبن بالعلم يحمل معنى التشبيه فى كونهما مشتركين فى كثرة النفع بهما،وفى أنهما سببا للصلاح ٠

فاللبن غذاء الإنسان وسبب صلاحهم وقوة أبدانهم وأول شىء يناله المولود من طعام الدنيا وبه تقوم حياته ، والعلم سبب الصلاح فى الدنيا والآخرة وغذاء الأرواح ، وتقوم به حياة القلوب ٠

****

---

(٢) طه ٧١

(٣) يوسف ٥٣

عن ابن عمر عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال :[1]

« إنّ من الشَّجَر شجرةً لا يسقُط وَرَقُها ، وإنها مَثَلُ المُسلم ، فحدِّثونى ما هى ؟ ، قال : فَوقَعَ الناسُ فى شَجَر البوادى ، قال عبدالله : ووقع فى نفسى أنها النخلة ، فاستحييت ، ثم قالوا : حدِّثْنا ماهى يارسول الله ؟ ، قال : هى النخلة ٠

اللغة :

هو عبدالله بن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ زاهد الصحابة وعالمهم وأحد العبادلة ، ومذهب البخارى أن أصح الأسانيد : مالك عن نافع عن ابن عمر ، ويسمى هذا الإسناد بسلسلة الذهب ، وهو أحد الصحابة الستة الذين هم أكثر رواية ، مات بمكة سنة ٧٣ هـ ٠

الشجر : ما كان على ساق من نبات الأرض ، وهو اسم جنس جمعى يميز بينه وبين مفرده بالتاء مثل : شجر وشجرة ، تمر ، وتمرة ٠

البوادى : جمع بادية ، وهى خلاف الحاضرة ٠

---

(١) عمدة القارى ج ١٣/٢

البلاغة :

مثل المسلم : قال الزمخشرى :[1] « المَثَل فى أصل كلامهم بمعنى المِثْل ، وهو النظير ، يقال : مَثل ومِثل ومَثيل ، كشَبَهَ ، وشِبه ، وشبيه ·

ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده : مَثَل · ولم يضربوا مثلا ، ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ، ومن ثم حوفظ عليه وحمى من التغيير ·

ومورد المثل : الصورة التى ورد فيها ذلك القول ، ومضربه : هى الصورة التى شبهت بها ·

ولضرب المثل شأن فى إبراز خبيات المعانى ، ورفع الأستار عن الحقائق ، حتى تريك المتخيل فى صورة المحقق ، والمتوهم فى معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد ، وفيه تبكيت للخصم الألد ، وقمع لسورة الجامح الأبى ، ولأمر ما أكثر الله فى كتابه المبين ، وفى سائر كتبه أمثاله ، وفشت فى كلام رسول الله ـ ﷺ ـ وكلام الأنبياء والحكماء ، قال الله تعالى : « وتلك الأمثالُ نضربهُا للناس ومَا يعْقِلُها إلاَّ العالمون »[2] ، ومن سور الإنجيل سورة الأمثال ·

فالمثل له مفهوم لغوى : وهو النظير ، ومفهوم عرفى : وهو القول السائر ، ومعنى مجازى : وهو الحال الغريبة ، واستعير المثل هنا ـ كاستعارة الأسد للمقدام ـ للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة ، وكأنه قيل : حال المسلم العجيب الشأن ، كحال النخلة ·

ووجه الشبه بين النخلة والمسلم : كثرة خيرها ، ودوام ظلها ، وطيب ثمرها ، ووجوده على الدوام ، فإنه من حين يطلع ثمرها لايزال يؤكل منه حتى ييبس ويتخذ منه منافع كثيرة ، ومن خشبها وورقها وأغصانها تستعمل جذوعا وحطبا وعصيا ومخاصر وحصرا وحبالا ، ثم آخر شىء منها نواها فينتفع به علفا للإبل ثم جمال نباتها وحسن هيئة ثمرها ، فهى كلها منافع وخير وجمال ·

كذلك المؤمن ، خير كله ، من كثرة طاعاته ، ومكارم أخلاقه ، فيواظب على صلاته وصيامه وقراءته وذكره والصدقة والصلة وسائر الطاعات ، وغير ذلك ·

وقد شبهت الكلمة الطيبة[3] ـ وهى لا إله إلا الله ـ كالشجرة الطيبة ـ وهى النخلة

---

(١) الكشاف ج ١/٥٥ (٢) العنكبوت ٤٣

(٣) إشارة إلى قوله تعالى ؟ « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها » (إبراهيم ، آية ٢٤ ، ٢٥) ·

أصلها ثابت فى الأرض وفرعها فى السماء ـ أى رأسها ـ توتى أكلها كل حين ٠

وقد شبه الله الإيمان بالنخلة لثبات الإيمان فى قلب المؤمن كثبات النخلة فى منبتها ، وشبه ارتفاع عمله إلى السماء ، بارتفاع فروع النخلة ، وما يكتسبه المؤمن من بركة الإيمان وثوابه فى كل وقت وزمان بما ينال من ثمر النخلة فى أوقات السنة كلها من الرطب والتمر ٠

****

١٣

عن أنس ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال :[١]

« ثلاثٌ مَنْ كنّ فيه وجَد حَلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه ممّا سِواهما ، وأن يحُبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا لله ، وأن يكْرهَ أن يعودَ فى الكفر كما يكرهُ أن يُقْذَفَ فى النار » ٠

اللغة :

أنس : هو أنس بن مالك بن النضر الأنصارى ، خدم رسول الله ـ ﷺ ـ عشر سنين روى له عن رسول الله ـ ﷺ ـ ألفا حديث ومائتان وست وثمانون ، وكان أكثر الصحابة ولدا ، قالت أمه:يارسول الله خويدمك أنس ادع الله له ، فقال : اللهم بارك فى ماله وولده ، وأطل عمره ، واغفر ذنبه ، قال أنس : لقد دفنت من صلبى مائة إلا اثنين ، وكان له بستان يحمل فى السنة مرتين وفيه ريحان يجىء منه ريح المسك ، وقال : لقد بقيت حتى سئمت من الحياة ، وأنا أرجو الرابعة ٠ قيل : عمر مائة سنة وزيادة ، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة سنة ٩٣ هـ زمن الحجاج،ودفن فى قصره قرب البصرة ٠

الحلاوة : ضد المرارة ، وحلاوة الإيمان : استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق فى الدين ، وإيثار ذلك على أعراض الدنيا ، ومحبة العبد لله تعالى بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك محبة رسول الله ﷺ ٠

أحب إليه مما سواهما : المراد بالحب هنا : ليس المراد حب الشفقة والحنان كحب الأولاد ،

---

(١) عمدة القارى ج ١٤٦/١

أو محبة العشق ، وإنما المراد الحب العقلى الذى هو إيثار ما يقتضى العقل السليم رجحانه ، وإن كان على خلاف هوى النفس ، كالمريض يعاف الدواء بطبعه ، فينفر عنه ويميل إليه بمقتضى عقله ، فيهوى تناوله ، فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص آجل ، والعقل يقتضى رجحان جانب ذلك ، تمرن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعا له ، ويلتذ بذلك التذاذا عقليا ، وعبر الشارع عن هذه الحالة بالحلاوة ، لأنها أظهر اللذائذ المحسوسة ٠

وقال « مما سواهما » ولم يقل « ممن » ليعم من يعقل ومن لا يعقل ، وأما قوله ـ عليه السلام ـ للذى خطب فقال : « ومن يعصهما » « بئس الخطيب أنت » ، لأن المراد فى الخطب الإيضاح ، وهنا المراد الإيجاز فى اللفظ ليحفظ ٠

البلاغة :

« حلاوة الإيمان » : الحلاوة إنما تكون فى المطعومات والمشروبات ، والايمان ليس كذلك فشبه الإيمان بالعسل أو نحوه،بجامع الالتذاذ وميل القلب ، وطوى المشبه به ورمز له بشىء من خواص المشبه به وهو الحلاوة ـ استعارة بالكناية ٠

وإسناد الحلاوة إلى الإيمان تسمى « استعارة تخييلية » ٠

وأن يكره أن يقذف فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار : تشبيه ، ووجه الشبه : وجدان الألم وكراهة القلب إياه ٠ وهو من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس ليتمكن فى النفس ويقر فى العقل ٠

****

١٤

عن المعْرُور قال :[١]

لقيتُ أباذَرٍّ بالرَّبَذَة وعليه حُلَـة ، وعلى غلامـه حُلَّـة ، فسألته : عن ذلك ، فقال : إنى سابَبْتُ رجلا فعيرَتُه بأمِّه ، فقال لى النبى ـ ﷺ :

ياأبـاذر ، أعيرتَـهُ بأمـه ؟ ، إنـك امـرؤٌ فيك جاهليةٌ ، إخوانكُمُ خولُكُم ، جعلهم الله تحْتَ أيديكم ، فمن كان أخُوه تحت يده ، فلْيُطعمه مِمّا يأكل ، ولْيُلبسـه مما يلبس ، ولا تكلِّفُوهم ما يَغْلبُهم ، فإن كلفتموهم فأعِينُوهم » ٠

اللغة :

المعرور : هو أبوأمية بن سويد الأسدى الكوفى : قال الأعمش رأيته وهو ابـن مائـة وعشرين سنة أسود الرأس واللحية ٠

أباذر : هو جُنْدُب ـ بضم الجيم والدال ، وفتح الدال أيضا ، وهو اسم طائر ـ ابن سفيان الغفارى صحابى كبير ، وهو رابع أربعة فى الإسلام ويقال خامس خمسة ، أسلم بمكة ثم رجع إلى بلاد قومه ، قام بها حتى مضت بدر وأحد والخندق ، ثم رجع إلى المدينة فصاحب النبى ـ عليه السلام ـ إلى أن مات ، روى له عن الرسول ـ ﷺ ـ مائتا حديث وواحد وثمانون ، مات بالربذة سنة ٣٢ هـ ، وصلى عليه ابن مسعود ٠

---

(١) عمدة القارى ج ٢٠٤/١

الربذة : موضع قريب من المدينة ٠

حلة : إزار ورداء ولا يسمى حلة حتى تكون ثوبين،وسميت بذلك لأن كل واحد منهما يحل محل الآخر ٠

فسألته عن ذلك : لماذا السؤال ، وما فائدته ؟ لأن عادة العرب وغيرهم أن يكون ثياب المملوك دون سيده ، والذى فعله أبوذر كان خلاف المألوف ٠

سابيت رجلا : شاتمته ، ووقع بينى وبينه سباب ، قيل الرجل : هو بلال ـ مولى أبى بكر ـ رضى الله عنهما ٠

عيرته : نسبته إلى العار ، قيل أنه قال للرجل : يابن السوداء ٠

فيك جاهلية : فيك خلق من أخلاقها ٠

خَوَلكم : بفتح الواو ، وَخَولُ الرجل حَشَمه ، الواحد : خايل ، وقد يكون الخول واحدا ، وهو اسم جمع يقع على العبد والأمة ، وقيل مأخوذ من التخويل وهو التمليك ، وقيل أن الخول : الخدم وسموا به لأنهم يتخولون الأمور أى يصلحونها ٠

البلاغة :

وعليه حلة : التنكير فى « حلة » للتعظيم،أى حلة كاملة الجودة ٠

أعيرته بأمه : الهمزة للاستفهام على وجه الإنكار التوبيخى ٠

إنك امرؤ فيك جاهلية : فصل بين هذه الجملة والسابقة لكمال الاتصال بينهما ، فالثانية من الأولى كالتوكيد المعنوى فى إفادة التقرير مع الاختلاف فى اللفظ ، كقوله تعالى : « ذلك الكتاب لا رَيْبَ فيه »[1] ٠

إخوانكم خولكم : فى الجملة قصر ، وأصل الكلام : خولكم إخوانكم ، لأن المقصود هو الحكم على الخول بالأخوة ، ولكن لما قصد حصر الخول على الإخوان قدم الإخوان أى ليسوا إلا إخوانا ، موصوف على صفة ، وطريق القصر : التقديم ، أو تعريف الطرفين ٠

تحت أيديكم : مجاز عن القدرة أو عن الملك ، مجاز مرسل لعلاقة السببية ٠

فليطعمه مما يأكل : فى اختيار كلمة « يأكل » معنى يفوت لو كانت العبارة « فليطعمه مما يطعم » مع وجود المجانسة فيه ، كما فى « وليلبسه مما يلبس » وذلك لأن الطعم يجىء بمعنى « الذوق » يقال : طعم يطعم طعما إذا ذاق أو أكل ، قال تعالى : « ومن لم يَطْعَمه فإنه

---

(١) البقرة ٢

مِنِّى »[1] ، أى من لم يذقه ، فلو قال : « مما يطعم » لتوهم أنه يجب الإذاقة مما يذوق ، وذلك غير واجب ٠

ولماذا لم يقل (فليؤكله مما يأكل) ، لأن قال : فليطعمه إشارة إلى أنه لابد من إذاقته مما يأكل وإن لم يشبعه من ذلك الأكل ٠

فإن كلفتموهم : حذف فيه المفعول الثانى اختصارا ، وأصله : فإن كلفتموهم ما يغلبهم ٠ والأمر فى « فليطعمه ، وليلبسه ، فأعينوهم » أمر مراد منه الحقيقة فهو للوجوب ، وقيل خرج عن الحقيقة ـ الوجوب ـ إلى الاستحباب ٠

أما النهى فى « ولاتكلفوهم » فهو على الحقيقة ـ للتحريم اتفاقا ٠

****

(١) البقرة ٢٤٩

١٥

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ ﷺ ـ يقول :[١]

أرأيتُم لوْ أنّ نَهَرًا بباب أحدكم يغْتسل فيه كلَّ يومٍ خمسًا ، ماتقول ؟ ، ذلك يُبْقِى من دَرَنه ، قالوا : لا يُبْقِى من درنه شيئا ، قال : فذلك مِثْلُ الصلواتِ الخمس يمحو الله بها الخطايا ..

اللغة :

أبوهريرة : كنى بهذه الكنية لهرة كان يلعب بها ، كناه بها رسول الله ﷺ أسلم عام فتح خيبر ، واختلف فى اسمه اختلافا كبيرا ، قال عن نفسه : نشأت يتيما ، وهاجرت مسكينا ، وكنت أجيرا لبسرة بنت غزوان ، خادما لها ، فزوجنيها الله تعالى ، فالحمد لله الذى جعل الدين قواما ، وجعل أبوهريرة إماما[٢] ، وهو أكثر الصحابة رواية ، روى له خمسة آلاف حديث وثلثمائة وأربعة وسبعون حديثا توفى سنة ٥٩ هـ بالمدينة .

أرايتم : أخبرنى ، والهمزة للاستفهام ، والمراد منه التقرير .

لو أن نهرا : (لو) لا تدخل إلا على الفعل ، والتقدير : لو ثبت أن ، النهر : بفتح الهاء وسكونها ما بين جنبتى الوادى ، سمى بذلك لسعته ، وكذلك سمى النهار لسعة ضوئه .

ماتقول : أى ما تظن أيها السامع .

---

(١) عمدة القارى ج ١٥/٥

(٢) المعارف : لابن قتيبة ٩٤

ذلك : إشارة إلى الاغتسال ٠

الدرن : الوسخ ٠

فكذلك : الفاء واقعة فى جواب شرط محذوف ، والتقدير : إذا أقررتم ذلك ووضح عندكم فكذلك الصلوات الخمس ٠

البلاغة :

الاستفهام فى « أرأيتم » للتقرير ، وكأنه يطلب منهم الجواب ليطيل شوقهم ويزيد انتباههم ، وأسلوب الاستفهام وسيلة ناجحة فى الترغيب وهو أجدى فى فرض الحكم من حقيقة الأمر ٠

وفى الحديث تشبيه تمثيلى ، فقد شبه الرسول ـ عليه السلام ـ المؤمن الذى يعد نفسه للصلاة فيصليها ، ثم يعد نفسه للصلاة الثانية فيصليها وهكذا حتى يتم فرضه اليومى ، بحال المؤمن الذى يمر ببابه نهر فهو يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ٠

وفى الحديث من براعة التركيب وإيحاءات الأسلوب ما يزيد التشبيه براعة وقوة ، منها :

(١) تكرار الصلوات يمحو الخطايا كما أن تكرار الاغتسال لا يبقى من الدرن شيئا ٠

(٢) تنكير « نهرا » يوحى بالعظمة والاتساع ٠

(٣) مجىء « باب » مجرورة بالباء مما يوحى بالتصاق النهر بالباب ، وذلك لا يكلف جهدا أو زمنا ٠

(٤) الإتيان بالمضارع « يغتسل » يدل على استحضار الصورة مع تجددها فى كل وقت ، بل مع وجود أى مهلة فى العمر ، ودل على ذلك بـ « كل يوم » ٠

(٥) وجاء بلفظ (الخطايا) جمع لا مفرد ، وبصيغة منتهى الجموع ، ليدل على مقدار فاعلية الصلوات الخمس ، فهى تمحو الآثام والخطايا التى تغمر المسلم[1] ٠

****

(١) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ١٥٠

١٦

عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال :[١]

« مَثَل المؤمن الذى يقرأ القرآنَ كالأُتْرُجَّة ، طعمها طيبٌ وريحها طيب ، والذى لا يقرأ القرآن كالتَّمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجرِ الذى يقرأ القرآن كمِثل الريْحَانة ريحها طيّب وطعمها مُرّ ، ومثل الفاجرِ الذى لا يقرأ القرآنَ كمثل الحنظَلة طعمها مُرّ ولا رِيح لها » ٠

اللغة :

الأُتْرُجَّة : بضم الهمزة وسكون الفاء وضم الراء وتشديد الجيم ـ وقد تخفف ـ وهى أفضل ما يوجد من الثمار فى سائر البلدان وأجدى ، لأسباب كثيرة ، وهى جامعة للصفات المطلوبة منها ، من كبر حجمها ، وحسن منظرها ، وطيب مطعمها ، ولين ملمسها ، تأخذ الأبصار صبغة ولونا ، فاقع لونها تسر الناظرين ، تتوق إليها النفس قبل التناول تفيد آكلها ، بعد الالتذاذ بذوقها،تمتع الحواس الأربع : البصر والذوق والشم واللمس ٠

البلاغة :

ضرب النبى ـ ﷺ ـ المثل بما تنبته الأرض ويخرجه الشجر للمشابهة التى بينها وبين الأعمال فإنها من ثمرات النفوس ، فخص ما يخرجه الشجر من الأترجة والتمر بالمؤمن ، وبما

---

(١) عمدة القارى ج ٣٧/٢٠

تنبته الأرض من الحنظلة والريحانة بالمنافق تنبيها على علو شأن المؤمن وارتفاع علمه ودوام ذلك ، وإيذانا بضعة شأن المنافق وإحباط عمله وقلة جدواه ٠

والتعبير بالمضارع فى « يقرأ » و« لا يقرأ » ليفيد الاستمرار والدوام عليها وأن القراءة دأبه وعادته ، كقولنا : فلان يقرى الضيف ، ويحمى الحريم فليس المراد حصولها مرة وتركها كلية بل المراد الاستمرار والدوام ، فتجدد القراءة هو الذى يستحق به المؤمن الاتصاف بوجه الشبه ٠

وفى الحديث أربعة تمثيلات ، وقد اشتملت على معنى معقول صرف،لا يتكشف عن مكنونه إلا تصويره بالمحسوس المشاهد ٠

وكلام الله المجيد له تأثير فى باطن العبد وظاهره ، والعباد متفاوتون فى ذلك فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القارىء الذى دأبه القراءة ومثله كالأترجة ، طيبة الطعم ، طيبة الريح ، وخص الطعم والرائحة لأنهما أظهر ما يشتهى من الطعام ٠

ومنهم من يتأثر باطنه دون ظاهره ، وهو المؤمن الذى لا يقرأ القرآن ، فنصيبه من المنفعة أقل ، لذلك كان مثله كالتمرة طيبة الطعم عديمة الريح ٠

وفى اختيار المشبه به فى الأول والثانى من الناس مايدل على علو شأن المؤمن وارتفاع علمه ٠ ومنهم من يتأثر ظاهره دون باطنه ـ وهو المرائى القارىء ـ فنصيبه من الخير والمنفعة أقل من الثانى ، ولذلك كان مثله كالريحانة ، طيبة الريح ، ومرة الطعم ٠

ومنهم من لم يتأثر ظاهره ولا باطنه ـ وهو المرائى غير القارىء ـ وعلى هذا فلا نصيب له من الخير والمنفعة ألبتة ، ولذلك كان مثله كالحنظلة ، مرة الطعم ولا ريح لها ٠

وفى اختيار المشبه فى الثالث والرابع من الناس ما يدل على ضعة هؤلاء وإحباط عملهم وقلة جدواهم فى دنياهم ٠

****

١٧

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال :

« خَلَق الله الخَلْق ، فلما فرغ منه قامت الرَّحِم فأخذتْ بحَقْوِ الرّحمن ، فقال له : مَهْ ، قالت : هذا مقامُ العائِذ بكَ من القَطيعة ، قال : ألا تَرْضَينْ أن أصِلَ من وصلَكِ ، وأقطعَ من قَطعَك ، قالت : بلى يارِبِّ ، قال : فذاك ٠

قال أبوهريرة : اقرؤا إن شئتم « فهلْ عسَيْتُم إنْ توليتُم أنْ تُفْسِدوا فى الأرض وتُقَطِّعوا أرْحامكم » ٠

اللغة :

أبوهريرة : مضى التعريف به فى الحديث رقم (١٦) ٠

الرحم : مستقة من الرحمة وهو القرابة ٠

الحَقْو : بفتح الحاء وسكون القاف ، هو معقد الإزار ، وهو الموضع الذى يستجار به على عادة العرب ، لأنه من أحق ما يحامى عنه ، ويدفع ، كما قالوا : نمنعه مما نمنع منه أزرنا ٠

فقال له : مه : أى قال الرحمن للرحم : اكفف و(مه) اسم فعل معناه : اكفف وانْزَجر ، أو معناها الاستفهام،على معنى ما تقول ؟ فهى « ما » الاستفهامية حذفت ألفها ووقف عليها بهاء السكت ٠

العائذ : المعتصم بالشىء المستجير به ٠

---

(١) عمدة القارى ج ١٩/١٧٢

هذا : إشارة إلى المقام ، ومعناه : قيامى هذا قيام العائذ بك ٠

الصلة : هى العطف والرحمة،وهى درجات أدناها ترك المهاجرة،وصلتها بالكلام ولو بالسلام ٠

واختلف فى الرحم التى يجب صلتها ، فقيل : كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى حرمت مناكحتها ، فعلى هذا لا يجب فى بنى الأعمام وبنى الأخوال لجواز الجمع فى النكاح دون المرأة وأختها وعمتها ، وقيل : بل هذا فى كل رحم ممن ينطلق عليه ذلك من ذوى الأرحام فى المواريث محرما كان أو غيره ٠

فذاك : إشارة إلى قوله : « ألا ترضين ٠٠ إلخ » أى ذاك لك ٠

إن توليتم : قيل من الولاية والمعنى إن وليتم الحكم تظلمون ، وقيل بمعنى الإعراض عن قبول الحق ٠

تقطعوا : من القطع ، وقيل من التقطيع على التكثير لأجل الأرحام ٠

البلاغة :

فقال له : مَهْ ٠ إذا كانت (مه) اسم فعل ، فيكون الزجر فيه بين ، والكلام على الحقيقة ، وإن كان المعنى على الاستفهام على معنى : ماتقول ؟ فيكون الاستفهام المراد منه : الأمر بإظهار الحاجة ، دون الاستعلام ، فالله تعالى يعلم السر وأخفى ٠

****

١٨

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :[١]

« إنما مَثَلى ومَثلُ الناس كَمثل رجلٍ استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله جعل الفَراشُ ـ وهذه الدوابُّ التى تَقعُ فى النار ـ يَقَعْنَ فيها ، فجعل ينْزَعهُنّ ويغلبْنَه ، فيقتحمْنَ فيها ، فأنا آخذ بحُجَزِكم ، وهم يقتحمون فيها » ٠

اللغة :

أبوهريرة : مضى التعريف به فى الحديث السابق رقم (١٦) ٠

استوقد نارا : أى أوقدها ، وقيل : إن زيادة السين والتاء للإشارة إلى إنه عالج إيقادها وسعى فى تحصيل آلاتها ، لأن معنى « الاستفعال » الطلب ولكن قد يكون صريحا نحو « استكتبته» أى طلبت منه الكتابة ، وقد يكون تقديرا نحو استخرجت الوتد من الحائط ، وليس فيه طلب صريح ، واستوقد من هذا القبيل ٠

النار : جوهر لطيف مضىء محرق ، والنور : ضوؤها ٠

الفراش : طائر كالبعوض يتهافت على النار ٠

وهذه الدواب التى تقع فى النار : والمراد به : البرغش والبعوض والجندب ـ الجراد ـ ونحوها وهذه الجملة معترضة المراد منها تفسير الفراش ٠

---

(١) عمدة القارى ج ١٦/١٦ ، ج ٨٦/٢٣

يَنْزَعُهن : بفتح الياء وسكون النون وفتح الزاى وضم العين ، أى يدفعهن ، والاقتحام : الهجوم :

الحُجَز : بضم الحاء وفتح الجيم وهو معقد الأزار ، جمع حجزة ، ويجوز ضم الجيم فى الجمع ٠

البلاغة :

الحديث كله تشبيه تمثيلى ، فقد شبه صفة الرسول وحاله فى دعائه الناس إلى الإسلام المنقذ لهم من النار وماتزين لهم أنفسهم من التمادى فى الباطل،كمثل رجل عالج إيقاد النار وسعى فى تحصيل كل ما به اشتداد نارها ونورها ، ولكن بدل أن يهتدى بها الضال ويَسْتَرشد بها الحائر أقبل عليها الفراش والدواب الصغيرة تتهاوى فيها وتتساقط ٠

والجامع بين الطرفين : اتباع الهوى وضعف التمييز وحرص كل من الطائفتين على هلاك نفسه ٠

فأنا آخذ بحجزكم : التفات من الغيبة فى قوله « مثل الناس » إلى الخطاب فى قوله بحجزكم ٠

وهم يقتحمون فيها : القياس « وأنتم » لا « هم » ليوافق « حجزكم » ولكنه التفت من الخطاب إلى الغيبة ، وفى أسلوب الالتفات وتغيير الخطاب فيه ما فيه من جمال وروعة ٠

****

١٩

عن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال :[١]

« سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنما النـاسُ كالإبـلِ المائةِ لا تكاد تجدُ فيها راحلةً » ٠

اللغة :

عبدالله بن عمر : مر التعريف به فى الحديث رقم (٨) ٠

الراحلة : الناقة النجيبة المختارة ، والهاء فيها للمبالغة كما يقال : رجل فهامة ونسابة ، وسميت راحلة : لأنها ترحل ، أى يجعل عليها الرحل فهى فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضية أى مرضية ٠

البلاغة :

الحديث كله استعارة تمثيلية ، فقد بين الرسول عليه السلام ـ أن الرجل الجواد الذى يتحمل أثقال الناس وحمالاتهم ويكشف كربهم عزيز الوجود بين الناس،كالراحلة فى الإبل الكثيرة ٠

---

(١) عمدة القارى ج ٢٣/٨٥

٢٠

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنه قال :[١]

« أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ فقال : يارسول الله ، أصابنى الجَهْدُ فأرسل إلى نسائه فلم يجدْ عندهن شيئا ، فقال رسول الله ﷺ ألاَ رجلٌ يُضيِّف هذا الليلةَ ـ يرحمه الله ـ فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يارسول الله ، فذهب إلى أهله فقال لامرأته : ضيفُ رسول الله ﷺ لا تَدَّخريه شيئا ، قالتْ ، والله ماعندى إلاّقوتُ الصِّبْية ، قال : فإذا أراد الصبيةُ العَشاءَ فنوِّميهم وتعالىْ فأطفىء السرَّاجَ ، ونطْوِى بطونَنَا الليلةَ ، ففعلتْ ، ثُمّ غدَا الرجلُ على رسول الله ﷺ فقال : لقد عَجِبَ الله عز وجل ، أوضَحِك من فلان وفلانة ، فأنزل الله عز وجل : « ويُؤْثِرُون على أنْفُسهم وَلَوْ كان بهم خَصَاصَةٌ » ٠

اللغة :

أبوهريرة : مضى التعريف به فى الحديث رقم (١٦) ٠

الجهد : المشقة والجوع ٠

ألا : معناها التحضيض والحث على الشيء ٠

---

(١) عمدة القارى ج ٢٢٨/١٩

لاتدخريه شيئا : أى لا تمسكى عنه شيئا .

فنوميهم : أى حتى لا يأكلوا شيئا ، ويحمل هذا على أن الصبيان لم يكونوا محتاجين إلى الأكل .

عجب الله .. أوضحك : المراد الرضا والقبول عند الله .

البلاغة :

العجب والضحك ، فى حق الله ـ عز وجل ـ لايجوز ، لأن التعجب حالة تحصل عند إدراك أمر غريب ، والضحك : ظهور الأسنان عند أمر عجيب ، وكلاهما محالان على الله تعالى ، والمراد من العجب والضحك لوازمهما وغاياتهما وهو الرضا عند الله والقبول به ومضاعفة الثواب عليه (مجاز مرسل) .

أو يكون الكلام على حذف مضاف على تقدير : لقدعجبت ملائكة الله وضحكت من صنيعهما،لندور ما وقع منهما فى العادة .

****

٢١

عن نُعَيمٍ المُجْمِر قال : [1]

رَقِيتُ مع أبى هريرةَ على ظهر المسجد ، فتوضأ فقال : إنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول :

« إنّ أُمَّتى يُدْعوْن يومَ القيامة غُرًّا مُحَجَّلين من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يُطيلَ غرَّتَه فلْيفْعل » ٠

اللغة :

نعيم المجمر : هو ابن عبدالله المدنى ، وصف هو وأبوه بذلك،جالس أبا هريرة عشرين سنة ٠

أبوهريرة : أول من كنى بهذه الكنية لهرة كان يلعب بها ، كناه بها رسول الله ، أسلم عام خيبر واختلف فى اسمه اختلافا كبيرا ، قال عن نفسه : نشأت يتيما ، وهاجرت مسكينا ، وكنت أجيرا لبسرة بنت غزوان خادما لها ، فزوجنيها الله تعالى ، فالحمد لله الذى جعل الدين قواما ، وجعل أبو هريرة إماما ، وهو أكثر الصحابة رواية ، روى له خمسة آلاف حديث وثلثمائة وأربعة وسبعون حديثا توفى سنة ٥٩ هـ بالمدينة ٠

رَقِيت : بكسر القاف صعدت ، أما من الرقية فرقَيت ـ بالفتح ٠

غر ، جمع أغر ، وهو بياض فى جبهة الفرس فوق الدرهم ، والأغر الأبيض ٠

الأمَّة : (الأمَّة) فى اللفظ واحد ، وفى المعنى جمع ، وهى فى اللغة الجماعة ، وكل جنس

---

(١) عمدة القارى ج ٢٤٦/٢

من الحيوان أمة ، وفى الحديث : « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها » ، وتستعمل فى اللغة لمعان كثيرة : الطريقة ،الدِّين ، والحين ، قال تعالى : « وادَّكر بعْد أُمَّة »[1] ، أى بعد حين ، والرجل الجامع لخصال الخير ، والرجل المتفرد بدينه لا يشركه فيه أحد ، وأمة محمد ـ عليه السلام ـ تطلق على معنيين : أمه الدعوة وهى من بعث إليهم ، وأمة الإجابة وهى من صدقه وآمن به ، وهذه هى المرادة هنا ٠

يدعون : إما من الدعاء ، بمعنى النداء ، أى يدعون إلى موقف الحساب ، وإما من الدعاء بمعنى التسمية ٠

التحجيل : بياض فى قوائم الفرس كلها أو فى ثلاث منها ، أو فى رجليه قل أو كثر بعد أن يجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين ٠

تطويل الغرة : غسل شىء من مقدم الرأس وما يجاور الوجه زائدا على القدر الذى يجب غسله ، لاستيقان كمال الوجه ٠

وتطويل التحجيل : هو غسل ما فوق المرفقين والكعبين ٠

البلاغة :

المسجد : الألف واللام فيه للعهد ـ أى مسجد النبى ـ ﷺ ٠

يقول : أتى بصورة المضارع لاستحضار الصورة الماضية ، أو للحكاية عنها ، ومقتضى الظاهر أن يقول : (قال) بلفظ الماضى ٠

فليفعل : حذف المفعول اختصارا والتقدير : فليفعل الغرة أو الإطالة ، واقتصر على ذكر الغرة ولم يذكر التحجيل وذلك للعلم به ، كما فى قوله تعالى « سَرَابِيلَ تَقِيكم الحَرَّ »[2] والمراد : الحر والبرد ، ولم يذكر البرد للعلم به ، واقتصر على ذكر الغرة ـ وهى مؤنثة ـ دون التحجيل ـ وهو مذكر ـ لأن محل الغرة أشرف أعضاء الوضوء ، وأول ما يقع عليه النظر من الإنسان ٠

وفى « الغرة » فى الموضعين استعارة ، حيث شبه النور الذى يكون على موضع الوضوء بغرة الفرس وتحجيله ٠

---

(١) يوسف : ٤٥

(٢) النحل : ٨١

٢٢

عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال ، قال رسول الله ﷺ :[١]

« بُنى الإسلامُ على خمسٍ : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقامِ الصلاة ، وإيتاءِ الزكاة ، والحجِّ ، وصومِ رمضانَ » ٠

اللغة :

هو عبدالله عمر بن الخطاب : زاهد الصحابة وعالمهم ، وأحد العبادلة ٠ ومذهب البخارى أن أصح الأسانيد : مالك عن نافع عن ابن عمر ، ويسمى هذا الإسناد بسلسلة الذهب وهو أحد الصحابة الستة الذين هم أكثر رواية ، مات بمكة سنة ٧٣ هـ ٠

البلاغة :

فى قوله عليه السلام : « بنى الإسلام » استعارة بالكناية ، شبه الإسلام بمبنى له دعائم ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو البناء ٠

ويجوز أن تكون الاستعارة تبعية فى « بنى » ، شبه ثبات الإسلام واستقامته على هذه الأركان ببناء الخباء على أعمدته الخمسة ٠٠ والقرينة إسناد الفعل « بنى » إلى « الإسلام » ٠

ويجوز أن يكون الكلام كله استعارة تمثيلية بأن تمثل حالة الإسلام مع أركانه الخمسة ـ

---

(١) عمدة القارى ج ١١٨/١

قطبها الذى تدور عليه الأركان شهادة ألا إله إلا الله ، وبقية شعب الإيمان أركان ٠

بحال خباء أقيم على خمسة أعمدة ـ قطب وأربعة أوتاد ـ ثم استعيرت حال المشبه به للمشبه ٠

وفى الحديث حذف فى عدة مواضع :

فى « بنى » حذف الفاعل لشهرته وتعينه ٠

وفى « إيتاء الزكاة » حذف المفعول الثانى،والتقدير : إيتاء الزكاة مستحقيها ٠

« وفى « الحج » أى وحج البيت ، ففيه حذف مضاف إليه ، والألف واللام بدل منه ٠

وفى « صوم رمضان » حذف مضاف،والتقدير : وصوم شهر رمضان ٠

****

٢٣

عن جابر بن عبدالله ـ رضى الله عنهما ـ قال :[١]

« قال النبى ﷺ : مَثَلى ومثلُ الأنبياء كمثلِ رجلٍ بنى دارًا فأكملها وأحسنَها إلاَّ موضعَ لبنةٍ ؛ فجعل الناس يَدخلونها ، ويتعجبون ، ويقولون : لوْلاَ موضعُ اللبنةِ » ٠

اللغة :

لَبِنة : بفتح اللام وكسر الباء ، وجاز إسكانها مع فتح اللام وكسرها ، وهى القطعة من الطين تعجن وتيبس ويبنى بها بناء فإذا أحرقت تسمى آجرة ٠

لولا موضع اللبنة : الخبر محذوف ، أى لولا موضع اللبنة يوهم النقص لكان بناء الدار كاملا ، ويجوز أن تكون « لولا » تحضيضية ـ لا امتناعية ـ وفعله محذوف والتقدير ، لولا تَرْك موضع اللبنة ، أو سُوِّى ٠

البلاغة :

الحديث من قبيل التشبيه التمثيلى ، فقد شبه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس إلى مكارم الأخلاق وحميد الصفات بدار أسست قواعدها ورفع بنيانها وبقى موضع لبنة ، فنبيُّنا ـ ﷺ ـ بعث ليتمم مكارم الأخلاق كأنه هو تلك اللبنة التى بها إصلاح مابقى من الدار ٠

---

(١) عمدة القارى ج ٩٨/١٦

٢٤

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال على المنبر:[١]

« غِفارُ غَفَر الله لها ، وأسْلمُ سالَمَهَا الله ، وعُصَيَّةُ عصَت الله ورسولَه » .

اللغة :

أبوهريرة : مضى التعريف به فى الحديث رقم (١٦) .

غِفَار : علم يصرف باعتبار الحى ، ولا يصرف باعتبار القبيلة ، وكانت غفار تتهم بسرقة الحجاج فأحب رسول الله ـ ﷺ ـ أن يمحو عنهم تلك المسبة وأن يعلم الناس أن ما سلف منهم مغفور لهم .

سالمها الله : من المسالمة وترك الحرب ، لأن دخولها فى الإسلام ـ هى وغفار ـ كان من غير حرب .

عصيّة : اسم قبيلة وقد قتلت القُرَّاء ببئر معونة وكان قد بعثهم رسول الله ﷺ فقتلوهم ، وكان عليه السلام يَقْنُتُ عليهم فى صلاته ، ويلعن رعلا وذكوان ويقول : عصية عصت الله ورسوله .

---

(١) عمدة القارى ج ٨١/١٦

البلاغة :

فى غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله ، وعصية عصت الله ورسوله • جناس الاشتقاق ، وهو من الاتفاقات اللطيفة التى يلذ على السمع لسهولته •

غفر الله لها : خبر يراد به الدعاء ، ومثلها : سالمها الله •

****

٢٥

عن عائشةَ ـ رضى الله عنها ـ قالت :[١]

« استأذَن حسّانُ النبّـى ـ ﷺ ـ فى هجـاء المشركين ، فقال : كيف بِنَسبى ؟ فقال حسان : لأسلّنَّكَ منهم كما تُسَلُّ الشعرةُ من العجين ٠

اللغة :

عائشة : هى بنت أبى بكر الصديق ، وزوج النبى الكريم ، وأحب نسائه إليه ، كانت من أفقه الناس وأعلمهم ، قال عنها الرسول ـ عليه السلام ـ :«خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » ، وروى عنها الحديث كثيرون من الصحابه كعمـر بن الخطـاب ، وابنـه عبدالله ، وأبى هريرة ، وعبدالله بن عباس ، وأبى موسى الأشعرى ، وغيرهم كثير ، توفيت فى السادسة والستين من عمرها سنة ٥٤ هـ ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين ٠

حسان بن ثابت : ولد بالمدينة ، وعاش على الشعر ، فكان يمدح المناذرة والغساسنة ويتقبل صلاتهم ، ولما هاجر الرسول إلى المدينة أسلم مع أهلها ، وانقطع لمدحه والدفاع عنه ، فهجى أعداءه وآلمهم ، وأبكمهم ، فاشتهر ذكره وعلا قدره وتوفى سنة ٥٤ هـ بعد أن كف بصره ٠

---

(١) عمدة القارى ج ٩٤/١٦

كيف بنسبى : أى كيف ونسبى مجتمعا بنسبهم،والمعروف أن الهجو معظم طرقه التنقص من الآباء ؟

لأسلنك منهم : لأخلص نسبك من نسبهم بحيث يقع الهجو بهم دونك ٠

البلاغة :

فى قوله : « لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين » ٠ تشبيه تمثيلى ، وإنما عين الشعرة والعجين ، لأنه إذا سل الشّعر من العجين لا يتعلق به شىء ، ولا ينقطع لنعومتـه ، بخلاف ما إذا سل من شىء صلب فإنه ربما ينقطع ويبقى منه بقية ٠

****

٢٦

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت :[١]

« قلت يارسول الله ، أرأيت لو نزلْتَ واديا وفيه شجرةٌ قد أُكل منها ، ووجدتَ شجرا لم يؤكلْ منها ، فى أيِّها كنتَ تُرتِعُ بعيرَك ؟ قال : فى التى لم يُرْتع منها ، تعنى أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكرا غيرها ٠

اللغة :

عائشة : مضى التعريف بها فى الحديث السابق ٠

أرأيت : أخبرنى ، والاستفهام للتقرير

تُرتع : بضم التاء ، من الإرتاع ، يقال : أرتع بعيره إذا تركه يرعى شيئا ، ورتع البعير فى المرعى : إذا أكل ما شاء ، ورتعه الله : إذا أنبت له مايرعاه على سعة ٠

البلاغة :

الحديث كله « استعارة تمثيلية » فقد شبه فضل زواج الفتاة البكر على زواج المرأة الثيب ، بالوادى الملىء بالمراعى والأشجار منها الممرع والمورق ، ومنها العارى من الإيراق والخالى من الإمراع ، ثم تنوسى التشبيه ، واستعيرت صفة المشبه به للمشبه ٠

---

(١) عمدة القارى ج ٢٠/٧٤

٢٧

عن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال :[١]

« إنما مثلُ صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقَّلة إن عَاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذَهَبتْ » ٠

اللغة :

عبدالله بن عمر : مضى التعريف به فى الحديث رقم (٨) ٠

المُعَقَّلة : بضم الميم وفتح العين وتشديد القاف ، أى المشدودة بالعقال ، وهو الحبل الذى يشد به ركبة البعير ٠

ذهبت : انفلتت ٠

البلاغة :

شبه دراسة القرآن واستمرار تلاوته وتعهده بالحفظ والقراءة ، بربط البعير الذى يخشى منه الهروب « تشبيه تمثيلى » ٠

فمادام التعاهد للقرآن موجودا فالحفظ موجود ، كما أن البعير مادام مشدودا بالعقال فهو محفوظ ، وخص الإبل بالذكر ، لأنه أشد الحيوان الإِنْسِىِّ نفورا ، وفى تحصيلها يعد استمكان نفورها صعوبة ٠

---

(١) عمدة القارى ج ٢٠ /٤٧

٢٨

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال :[١]

« لا يحِلُّ لامرأةٍ تسألُ طلاقَ أُختها لتستَفْرِغَ صفْحَتها ، فإنّما لها ما قُدِّر لها » ٠

اللغة :

أبوهريرة : مضى التعريف به فى الحديث رقم (١٦) ٠

لايحل : النهى على حقيقته فهو للتحريم ، وهذا إذا لم يكن هناك سبب يُجَوِّز ذلك كريبة فى المرأة لا ينبغى معها أن تستمر فى عصمة الزوج ٠

لتستفرغ صفحتها : لتقلب ما فى إنائها ، والصفحة : إناء كالقصعة المبسوطة ٠

فإنما لها ما قدر لها : أى للمرأة التى تسأل طلاق أختها ما قدر لها فى الأزل ، وإن سألت ذلك وألحت فيه ، فإنه لا يقع من ذلك إلا ما قدره الله تعالى ٠

البلاغة :

شبهت المرأة التى تسأل طلاق أختها ليخلص لها زوجها ، وتنفرد به دون سواها ، حتى يقصر النفقة والمعروف والمعاشرة عليها ، بامرأة نهمة أقدمت على آنية طعام لامرأة غيرها ، فأفرغت ما فيها فى إنائها تبجحا وجشعا (استعارة تمثيلية) ٠

---

(١) عمدة القارى ج ١٤٢/٢٠

والطعام عليه تقوم الحياة وفيه لذة ، وفى ذلك ما يشير إلى أثر التدمير لحياة الأسرة كما أن فى استفراغ الصفحة مايدل على حرمان الزوجة من حق الحياة ، وفى ذلك مايدل على بشاعة فعلها وقبح عملها ٠

****

٢٩

عن عقبة بن عامر إن رسول الله ـ ﷺ قال :[١]

« إياكم والدُّخُولَ على النساء ، فقال رجل من الأنصار ، يارسولَ الله ، أفَرأيتَ الحَمْوَ ، قال الحمُو الموتُ » ٠

اللغة :

إياكم والدخول : إياكم مفعول بفعل مضمر على التحذير ، تقديره : اتقوا أنفسكم واحذروا الدخول على النساء ٠

أفرأيت الحمو : أخبرنى عن دخول الحمو ، والهمزة للاستفهام المراد منه التقرير ٠

الحَمْو : بفتح الحاء وسكون الميم ، وهو أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه ، لأنهم محارم للزوجة يجوز لهم الخلوة بها ولا يوصفون بالموت ، فالمراد الأخ ، وابن الأخ ، والعم وابن العم ، وابن الأخت ونحوهم ممن يحل لها تزويجه لو لم تكن متزوجة ، وقد جرت العادة بالتساهل فيه ٠

البلاغة :

الحمو الموت : تشبيه بليغ ، شبه دخول الحمو على المرأة بالموت ، إذا الخلوة بالأحماء مؤدية إلى الهلاك ، فيجب أن نحذر من دخول الحمو على النساء كما نحذر الموت ، وقد حذر النبى ﷺ من ذلك لأن العادة جرت بالتساهل فيه ٠

---

(١) عمدة القارى ج ٢٠/٢٢٣

المراجع

أسرار البلاغة ..... عبدالقاهر الجرجانى

الإتقان فى علوم القرآن ..... للسيوطى

إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ..... للرافعى

البلاغة النبوية ..... د / على العمارى ـ مخطوط

تاريخ آداب العرب ..... للرافعى

تيسر الوصول إلى جامع الأصول
من حديث الرسول ..... لابن الديبع الشيبانى

الجامع الكبير ..... للسيوطى

الحديث والمحدثون ..... د / محمد أبوزهو

الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ..... د / عزالدين على السيد

المستدرك ..... للحاكم

دراسات تاريخية فى رجال الحديث ..... د / عبدالحميد بخيت

السنة ومكانتها فى التشريع ..... د / مصطفى السباعى

السنة قبل التدوين ..... د / محمد حجاج الخطيب

صحيح مسلم ـ شرح النووى

الطبقات الكبرى ..... لابن سعد

عمدة القارى شرح صحيح البخارى ..... للعينى

الفائق فى غريب الحديث ..... للزمخشرى

فجر الاسلام ..... أحمد أمين
الكشاف ..... للزمخشرى

مصادر الشعر الجاهلى ..... د / ناصر الدين الأسد
المعارف ..... لابن قتيبه
المجازات النبوية..... للشريف الرضى
نظرات فى الاسلام ..... للشيخ محمد الغزالى
النهاية ..... لابن الأثير

****